

مجلة البيان - العدد ٢٩ ، ذو القعدة ١٤١٠ هـ / مايو ١٩٩٠ م

الافتتاحية

العلماء : الواقع والمنتظر

إذا تسنى لك أن تستمع إلى حوار دار بين مجموعة من العلماء وحاكم من الحكام فإن ذلك يعتبر فرصة نادرة لأخذ العبرة والدرس ؛ لأن هذين الصنفين من الناس عليهما مدار الأمر في كل مجتمع ، إذا صلحا صلح المجتمع ، وإذا كانا غير ذلك فعندئذ تكون الفوضى هي الصفة الغالبة. بل إذا كانت العلاقة بين هاتين الجهتين علاقة الحب والتراحم والتناصح والتشاور فسوف يقطف المجتمع بأسره ثمرة ذلك.

لقد كان العلماء على امتداد التاريخ الإسلامي هم ضمير الأمة الذين لا تستغني عنهم في ساعات العسرة والأوقات العصيبة ، وما المعالم البارزة في هذا التاريخ إلا نتيجة تلاقح بين أفكار العلماء وحكمتهم وبين حزم الحكام وشعورهم بثقل الأمانة التي أسندت إليهم.

إن العلماء يقومون دائماً بدور الطلائع الذين يكتشفون الخطر قبل وقوعه ، وينبهون قومهم على المزالق قبل التورط فيها ، ولذلك فإذا أردت أن تقيس وعي أمة وقيمتها فانظر إلى علمائها وأثرهم ونظرة المجتمع إليهم.

ومن جهة أخرى ؛ فحيثما انتشر الطغيان - سواء منه طغيان الفرد وطغيان الجماعة - وسادت العقلات التي تضيق بالمساءلة والنصح ، وتحكمت العصبية والأهواء ؛ فإنك واجد انحساراً لأثر العلماء ، لأنهم أول من يتأثرون بهذه الموجات التي هي وبال على الأمة كلها. وسبب أنهم أول من يتأثر هو أن الشيطان - العدو الأول للإنسان والعدو الأول لعنصر الخير فيه - أول ما يتوجه بكل قوته إلى هذا العنصر من الأمة ليفسده لأنه بفساده يسهل إفساد الأمة ، وتعطى الحجة لكل ضعيف النفس خائر العزيمة كي ينطلق - مسوقاً بالشبهات والشهوات - نحو الفساد والإفساد.

وسبب آخر هو أن أدوات الطغيان والتسلط والعصبية لا تشعر بالأمن والطمأنينة ، ولا تطول مدتها إلا في غياب أو (تحييد) هذه العناصر المهمة من المجتمع.

إن مهمة العلماء مهمة صعبة ، لأنهم يتصدون لجبهات صعبة ، ولا يفوزون بالتفاف الجماهير حولهم وبتقنتهم بهم إلا بعد انتصارهم على هذه الجبهات التي يتصدون لها ، ومن هذه الجبهات : جبهة النفس وما فيها من أهواء وشهوات ، وجبهة الإغراءات الخارجية التي تخاطب حظوظ النفس هذه ، وجبهة التهديد والتخويف من أجل كتم كلمة الحق أو إضفاء الشرعية على الباطل.

كان لا بد لهذه القرون المتطاولة على المسلمين والتي أصابهم فيها ما أصابهم ، وحق بهم ما حاق من الغفلة عن أمور دينهم ، والإهمال لأسس التقدم والرقي - من أن تترك أثراً في النفوس. ومن أشد ما ابتلي به المسلمون في عصور انحطاطهم وما يزالون فيه "فقدان الحرية" ، وجهلهم بما يجب لهم من حقوق ، وما يجب عليهم من واجبات ، حتى كادوا يتحولون إلى جموع كثيفة فاقدة الإحساس بالحياة ، لقد تركت هذه البلوى - فقدان الحرية - في النفوس تردداً وخوفاً ، ونكتت في القلوب نكت الضعف والانكفاء على الذات والهروب من مواطن الكفاح من أجل خير الجماعة ، حتى العلماء الذين من

المفترض أن لا يخافوا في الله لومة لائم أصبحت في كثير من البلاد لا ترى فيهم إلا قلوباً منحوبة من الفرع ، ونفوساً مسكونة بحب السلامة.

من السلبيات التي تلاحظ -إذا ما اجتمع جمع من العلماء لأمر ما - الإسهاب في القضايا الفرعية ، والخروج عن الموضوع الذي اجتمع من أجله ، فلو افترضنا أن المجال أعطي لعدد منهم كي يبدي رأيه في مسألة فإنه لا يدخل في الموضوع مباشرة ، بل يجول جولة خطابية أو علمية ، وقد يذهب بعيداً فيتعب نفسه ، ويتعب من يستمع إليه ولا يصل إلى النقطة التي طلب منه إبداء الرأي فيها إلا وقد غزا الملل النفوس وأغلق عليها منافذ قبول وجهة نظره حتى لو كانت صحيحة أو قيمة ، وهكذا لا يعطي المجال لغيره إلا بعد أن لا يكون قد ترك في نفوس السامعين إلا الضجر ، فيأتي الآخر متأثراً بهذا الجو الذي أحس به عندما كان يستمع -فيعلن أنه لا يريد أن يكون خطيباً ولا واعظاً ؛ فالمقام لا يسمح ! وما إن يتلفظ بعبارته أو عبارتين حتى ينسى نفسه ، وينزلق إلى مثل ما انزلق به الأول ، وقد يغرق في قضية أخرى قد تكون من وحي تجاربه الشخصية ويستترسل في الحديث عن نفسه ، ثم يمسه طائف من الرحمن فيتذكر فيبدأ بالاعتذار من مدير الجلسة ثم من مساعديه ثم من المستمعين ...! وقد يقاطع بأن الوقت لا يكفي ، فيستمهل حتى يكمل هذه الفكرة الأخيرة ، فإما أن تضع الفكرة الأساسية في هذا الخضم المتلاطم من الكلام المتزاحم ، وإما أن لا يبقى وقت أصلاً لعرضها.

وقد ينبري آخر للكلام ليسد الخلل ويصلح ما أفسد من سببه ، فيلوي من عنان الإفاضة والاستطراد عن الموضوعات الفرعية ، والبطولات الشخصية إلى المدح العريض الذي تعافه النفوس لمسؤول كبير أو صغير.

لقد فكرت في هذه السلبيات وغيرها التي تعترى كثيراً من العلماء عند طرقهم لمسألة من المسائل ، أو انتدابهم للإدلاء برأيهم في قضية من القضايا أمام جهة رسمية أو مسؤول حكومي ، وتساءلت بيني وبين نفسي عن أسبابها ، ولماذا لا يكون هناك التأثير المطلوب لهذه الآراء والانتفاع المنتظر منها . ولا أدعي أنني اهتديت إلى وجه الحق الكامل في ذلك.

١ - يغلب على العلماء التفكير الفردي المزاجي ، ولا يفكرون تفكيراً جماعياً قبل مناقشة الفكرة الأساسية ؛ ولذلك يحرص كل واحد على عدم كشف أوراقه ، فلا يناقش مع غيره كيف سي طرح فكرته ولا كيف سيناقش أفكار غيره ، ويعتد كلُّ بأسلوبه ، ويستنهين بوجهات نظر الآخرين في طريقته ، ويقوم نفسه وقدراته تقديراً مبالغاً فيه ، وقد يكون عدم مناقشته ماذا سيقول وي طرح أمام أصحابه خوفاً من تقديمهم وتهرباً من مواجهتهم.

٢ - هناك مشكلة أخرى ومرض يصيب بعض العلماء وهو "مرض الكلام" (إذا صح أن نطلق هذا المصطلح) وهو أن بعضهم لا اعتياده مخاطبة الناس يصاب بنوع من الإدمان على ذلك ، ومعنى الإدمان هنا أنه يفقد التمييز بين المواقف التي يصلح فيها الاختصار ، والمواقف التي يصلح فيها الإطناب والتفصيل ، ويظن أنه إذا أسهب مرة أو أثنى الناس عليه فهذه دعوة له ليطنب ويسهب مرات أخرى ، مع أنه "لكل مقام مقال" .

٣ - أما مشكلة المبالغة في المدح فهذه قد يكون مبعثها الرهبة والخوف من الممدوح ، أو رجاء شيء عنده ، والمبالغة في المدح تشمل مدح الشخص بما ليس فيه ، وهذا أمر خطير ، وصدوره من العلماء أخطر ؛ لأنه كذب وبهتان ، فمن الكذب والبهتان أن يقال لمن لا يهتم بكتاب ولا بسنة : أنت ملتزم بالكتاب والسنة ، ومن الكذب وشهادة الزور أن يوصف من يسخر من الدين والمتدينين بأنه متدين !

ومن الكذب كذلك أن يوصف حديث شخص يتسم بالمداورة والمناورة بأنه كلام وافٍ شافٍ ليس عليه غبار !

وإن الإنسان ليعجب كثيراً من علماء أمة من عقيدتها أن الخوف والرجاء لا يكون إلا لله. ومن هدي رسوله صلى الله عليه وسلم- قوله :«إذا رأيت المداحين فاحثوا في وجوههم التراب» (١) ومع ذلك يضطرون إلى هذا الأسلوب ، وبعضهم يلجأ إلى تسويغ ذلك بطرق غير مسلمة فيظنون أن هذا من (الحكمة) حتى يكسبوا الناس ويستميلوهم إلى حظيرة الإسلام ، ولكنهم ينسون أن مدح الشخص بما ليس فيه والمبالغة في الثناء عليه لا تستمليه ، بل قد تبعده ؛ لأنه أعرف بنفسه من غيره فماذا سيكون ظنه بمن يجعله من بقية السلف الصالح وهو عند نفسه من المردة والشياطين؟! ، أما إذا صدق واعتقد أنه كما يقول المادح - وهو ليس كذلك - فهذا فتنة له ، وتخريب به ، ومساعدة على هلاكه ، لا إنقاذه.

إننا نربأ بالعلماء أن يُختبروا فتتكشف منهم نقاط الضعف التي تُطمع بهم من لا يريد بهم الخير ، ولا يريد لرسالتهم في المجتمع أن تُبلَّغ.

ونختم هذه الكلمة بالتذكير بعنصر مهم جداً في بناء الشخصية بعامة ، وشخصية العالم بخاصة ، وهو الثقة بالنفس التي تنبع من العقيدة التي يؤمن بها ويعمل لأجلها ، ومن الحق الذي يمثله في نظر من يلتفت حوله ، وهذه الثقة هي غير الادعاء الذي يدفع بعض الناس للتطاول واحتقار آراء الآخرين ، والاعتقاد بصواب ما يأتون به هم فقط وتسفيه ما عداه. ثقة إيجابية تبعث الطمأنينة في النفوس ، ولا تبالي بكثير من الرسوم والظواهر التي ينخدع بها السذج والبسطاء.

إن الثقافة العلمانية - التي سادت في القرن الأخير - عملت على زرع أمراض كثيرة (كالتردد ، والخوف ، واستصغار النفس واحتقارها) في نفوس كثير من علماء المسلمين ، وما لم تقدم ثقافة قائمة أساساً على نفوس محصنة ضد هذه الأمراض فسوف تظل للعلمانية اليد العليا ، وهذا ما لا ينبغي في مجتمعات تعتقد أن كلمة الله هي العليا .

الهوامش :

١ - صحيح مسلم : كتاب الزهد والرقائق ، ح ٦٩ ..

آية من كتاب الله

((وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا))

[الإسراء: ٣٦]

"نهى - جل وعلا - في هذه الآية الكريمة عن اتباع الإنسان ما ليس له به علم ، ويشمل ذلك قوله : رأيت ؛ ولم ير ، وسمعت ؛ ولم يسمع ، وعلمت ؛ ولم يعلم ، ويدخل فيه كل قول بلا علم، وقد أشار - جل وعلا- إلى هذا المعنى في آيات أخر كقوله ((إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا)) [النجم: ٢٨] .

أخذ بعض أهل العلم من هذه الآية الكريمة منع التقليد ، قالوا : لأنه اتباع غير العلم . ولا شك أن التقليد الأعمى الذي ذم الله به الكفار في آيات على منعه ، أما استدلال بعض الظاهرية - كابن حزم ومن تبعه - بهذه الآية على منع الاجتهاد في الشرع مطلقاً، ومنع التقليد من أصله، فهو من وضع

القرآن في غير موضعه ، لأن مشروعية سؤال الجاهل للعالم وعمله بفتياه أمر معلوم من الدين بالضرورة ، ومعلوم أنه كان العامي يسأل بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم- فيفتيه ، فيعمل بفتياه ، ولم ينكر ذلك أحد من المسلمين ، وسنذكر هنا طرفاً قليلاً من ذلك به صحة القول بالاجتهاد - تعالى - ((فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ)) [الإسراء: ٢٣] فإنه لا يشك عاقل في أن النهي عن التأفف المنطوق به يدل على النهي عن الضرب المسكوت عنه.

ونهيه صلى الله عليه وسلم- عن التضحية بالعمياء يدل على النهي عن التضحية بالعمياء مع أن ذلك مسكوت عنه ، وقوله - تعالى - ((إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى)) [النساء: ١٠] لا شك في أنه يدل على منع إحراق مال اليتيم وإغراقه ؛ لأن الجميع إتلاف له بغير حق .
ومن الأدلة الدالة على أن إلحاق النظير بنظيره في الشرع جائز ، ما أخرجه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما - قال : جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم- فقالت: يا رسول الله، إن أمي ماتت وعليها صوم نذر، أفأصوم عنها ؟ قال: «أفرايت لو كان على أمك دين فقضيته اكان ذلك يؤدى عنها؟» قالت: نعم، قال: «فصومي عن أمك» .

(الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، ٥٢٤/٣)

من نور النبوة

من صفات المؤمن

- ١- عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال: «المؤمن غرٌّ كريم ، والفاجر خبٌّ لئيم» (١) . [صحيح سنن الترمذي، ١٨٧/٢] .
- ٢- عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم-: «يحرم على النار كل هين لين قريب سهل» . [صحيح ابن حبان، ١٠٩٦-الترمذي، ٤٢٨٨]
- ٣- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال: «المؤمن لا يُلسع من جحر واحد مرتين» وفي رواية: «لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين» (٢) [أخرجه البخاري ومسلم] .

الهوامش :

- ١- قال صاحب جامع الأصول : العزّ : الذى لم يجرب الأمور لسلامة صدره ، وحسن الباطن والظن في الناس ، فكأنه لم يجرب بواطن الأمور ، ولم يطلع على دخائل الصدور، فترى الناس منه في راحة، لا يتعدى إليهم منه شر، والخب : الخداع المكّار الخبيث .
- ٢- قال الخطابي: يلدغ: بالضم على وجه الخبر ومعناه أن المؤمن هو الكيس الحازم الذي لا يُؤتى من جهة الغفلة ، والمراد به الخداع في أمر الدين ولا في أمر الدنيا .

مراجعات في عالم الكتب

أزمة الحوار الديني (*)

مراجعة : محمد سليمان

من الكتب التي أحدثت في الآونة الأخيرة ضجة وردوداً بين صفوف الإسلاميين كتاب الشيخ محمد الغزالي (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) والجديد في كتاب الغزالي هو أنه خلاصة آراء له كان ينشرها هنا وهناك في كتبه القديمة والحديثة، مع زيادة في حدة اللهجة وعصبية وتشنج ربما كان يكتمه سابقاً.

ولخطورة الآراء التي طرحت ، أو بالأصح لخطورة المنهج التي طرحت فيه ، فقد رُد عليه ردوداً علمية من أبرزها ما كتبه الشيخ سلمان العودة في (حوار هادي مع الشيخ الغزالي) ونعرض في هذا المقال نقداً آخر يركز على ما وراء هذا الكتاب والجو الذي أحيط به.

قدم الكاتب للموضوع بمدخل مهم جداً ، وهو أن (الهم الداخلي) أصبح في السنوات الأخيرة أولى من (الوافد الخارجي)؛ فالتيارات العلمانية والقومية شهدت الهزائم التاريخية ولم يبقَ منهم إلا الفلول ، وتحول بعضهم لمحاولة التلفيق بين العلمانية والإسلام.

من هنا تبدأ الخطورة ، ومن هنا نبدأ بتلمس طرف الخيط كما يقال : "فقد أصبح الداخل الإسلامي خليطاً بفعل توافد جماعات من المفكرين والباحثين ممن يحملون تراثاً شخصياً علمانياً أو قومياً أو شيوعياً توافدهم إلى الساحة الإسلامية، واتجاههم إلى البحث ومخاطبة الجماهير تحت شعارات الإسلام" (١).

"وهذه النماذج الفكرية التي دلفت إلى (الداخل) الإسلامي، قد نجحت في إحداث بعض التأثير في توجهات وهموم بعض المفكرين والدعاة الإسلاميين" (٢) .

"وهذه النماذج لم تدخل عن إيمان راسخ أو إسلام صادق وإنما دخلوا على أساس أن الأرضية التي يمكن أن يكون لهم وجود على أساسها تحولت كلية نحو الإسلام" (٣).

هذه الفلول التي عاشت سابقاً في مناخ التكتيك السياسي رأت أن التحدي الأكبر لهم هو "كيفية

إزاحة علماء الأمة ودعاتها ورموزها لكي يتبوؤوا هم قيادة العمل الإسلامي، ولأنهم هم الممثلون (للعقلانية) و(للاستنارة) الدينية ، وهذا التيار يلقي ترحيباً ودعماً من أجهزة ذات سلطان نافذ ومن تأمل المساحات الإعلامية المتاحة لهم يعلم ذلك" (٤).

وأظن أن القارئ بدأ يدرك من هم المقصودون بهذا الكلام والذين تتاح لهم المساحات الواسعة من الإعلام ، ولكن لا يزال عند المؤلف أشياء مهمة عن هذه الفلول ، ففي سبيل تحقيق أهداف هذه الاتجاهات الجديدة في الفكر الإسلامي لابد من (كاسحات ألغام) لتنظف لهم الطريق ، فستعرضهم حصون علمية لا قبل لهم بها لضعف مقدرتهم العملية أو لافتقارهم إلى الرصيد الدعوي الجهادي . إذن ماذا يعملون ، لابد من إحداث (خرق) في جدران القلعة ، ولابد لمن يحدث هذا الخرق أن يكون من الشخصيات ذات الاستقامة الدينية والتراث الدعوي الشخصي .

هذه الشخصيات هي التي يراد توريطها لتقوم بهذه المهمة ، وهذا الصنيع يتم عبر صياغة القضايا الفقهية والفكرية الإسلامية وحصرها ضمن إطار معين ، ومن الأمثلة على ذلك "ما حدث في أوائل الثمانينات إذ قامت إحدى المجالات الثقافية الكويتية - ذات الطابع العلماني - بتنظيم ملف شهري

عن (التطرف الديني) كان جل المشاركين فيه ممن يحملون عداوة للفكر الإسلامي ، ثم فوجئ

القراء المسلمون باسم أحد الدعاة الإسلاميين يتوسط المشاركين في الملف ، لم يكن حديث الدكتور

يوسف القرضاوي في هذا الملف هُجراً، ولكن المنبر الذي عرض من خلاله والتوقيت الذي

صدر به الملف كل ذلك جعل من المقال (ورطة) استدعت من فضيلة الدكتور أن يعتذر عنها فيما

بعد" (٥).

إن صاحب فكرة كتاب (السنة النبوية) هو (المعهد العالمي للفكر الإسلامي) في واشنطن ، الذي يصفه المؤلف بأنه أحد المؤسسات الإسلامية التي دلف إليها مؤخراً نفر من هذه الفلول الفكرية ، فلماذا يوجهون الشيخ الغزالي إلى هذا البحث وهم يعلمون أن الشيخ لا يدخل - علمياً - تحت وصف (الفقيه) كما لا يدخل تحت وصف (المحدث) .

إن من وجه الدعوة إلى الشيخ في هذه المواضيع إنما كان يبحث عن (كاسحة ألغام) تمهد له الطريق أمام أطروحات أكثر خطورة، وقد صرح الغزالي بأن هذا المنهج ليس منهجه الشخصي ، بل شيء متفق عليه "وقد تدارست مع أولي الألباب هذا الجو الفكري السائد واتفقت كلمتنا على ضرورة التعامل معه برفق واقتياده إلى الطريق المستقيم بأناة" .

بعد هذا المدخل المهم ، الذي نوافق فيه المؤلف على مجمل الصورة التي عرضها وخطورتها ، ونعتقد أن الشيخ الغزالي كان عنده الاستعداد لمثل هذه الكتابات ولا يخلو الأمر من توريث .

بعد هذا ناقش المؤلف مضمون الكتاب وركز على منهج الغزالي في طرحه للمواضيع التي أثارها :

١- الفقه : لم يعالج الغزالي القضايا الفقهية بمنطق العلم والدليل وعرض أقوال العلماء واختيار أصحابها وأقواها ، بل ربما حسب ذوقه الشخصي ، فعندما بحث موضوع الفن من موسيقى وغناء ونحت ومسرح ... قال : "ما المنهج الذي أقدمه لهذه الأوساط الأوربية، هل أطلب إليهم إلغاء الفنون الجميلة جملة وتفصيلاً" ومعلوم أن الفتوى لا تتعلق بأهواء البشر وإنما بمسئلتها الشرعية ، فهل نهدر قيمنا لإرضاء الذوق الغربي ! وعندما تكلم على تحريم كل ذي ناب من السباع - كما ورد في الحديث - رد هذا الحديث بحجة أن الحديث لا ينسخ القرآن ، وهذا تجاهل منه لمقررات أصول الفقه ، والحديث لم ينسخ آية وإنما نسخ دلالة الآية ، وهكذا عالج مسألة (الحجاب والنقاب) فعندما رجح بتقديره أن تغطية الوجه ليست واجبة ، لم يحترم الرأي الآخر بل أراد مصادرتة وأن من يقول به يسىء للإسلام . هذا الاستخفاف بالقضايا الفقهية و(الزني الإسلامي) شجع أمثال أحمد بهاء الدين على توبيخ المسلمين؛ لأنهم يبحثون : هل الربا حرام أم حلال بينما الأمريكيون يتابعون رحلات الفضاء !!

٢ - ولعل أخطر ما في كتاب الغزالي هو تناوله للحديث النبوي بصورة تفتح الباب لا على مصراعيه للتجروء على السنة ، فقد استبعد أحاديث لمجرد أنه لا يستسيغها ، ودون أي قاعدة علمية ، ولو كان الأمر إليه لحذف كثيراً من الأحاديث ، وهكذا رد حديث موسى - عليه السلام - مع ملك الموت، وحديث : أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، وحديث: تحريم كل ذي ناب من السباع ... الخ ، بل وصل الأمر إلى الاستهزاء عندما قال : "كان أئمة الفقه الإسلامي يقررون الأحكام وفق اجتهاد رحب يعتمد على القرآن أولاً فإذا وجدوا في ركाम (!) المرويات ما يتسق معه قبلوه ، وإلا فالقرآن أولى بالاتباع" فانظر إلى تعبير (ركام المرويات) وهل هذا مما يليق بالحديث عن أشرف المرسلين؟! .

٣ - يلاحظ أن الغزالي حريص على إبراز الإسلام أمام الغرب والشرق، وهذا الحرص سبب له مزالق تهدر به القواعد العلمية.

ففي معرض تعليق الغزالي على منع شهادة المرأة في القصاص والحدود قال : "ولست أحب أن أوهن ديني أمام القوانين العالمية بموقف لا يستند استناداً قوياً إلى النصوص القاطعة" ، إن من الخطورة بمكان أن يدخل عالم مسلم ما يسميه (القوانين العالمية) في موازناته الشرعية ، وإلا فسيجرّ البحث عن ميراث المرأة ، وشهادة المرأة .

٤ - عَامَلَ الشَّيْخُ أَبْنَاءَ الصَّحْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّذِينَ قَالَ إِنَّهُ سَيَقْتَادُهُمْ بِرَفْقٍ ! عَامَلَهُمْ بِقَسْوَةٍ وَاسْتَخْفَافٍ ، وَهَذَا لَيْسَ مِنَ الْمَنْهَجِ الْقِرَائِيِّ فِي شَيْءٍ ((أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)) [الفتح: ٢٩].

وأخيراً فإن كتاب (أزمة الحوار الديني) على صغر حجمه إلا أنه عالج بصدق منهج الغزالي في التفكير وطريقة تناوله للموضوعات التي أثارها ، والأهم من هذا هو اكتشافه التيار الذي يكمن وراء هذه الأطروحات ، وأما معالجة القضايا التي طرحها الغزالي ، فلا شك أنها تحتاج إلى كتابات مستقلة يوضح فيها منهج أهل السنة في ذلك ، وهو نفسه منهج الفقهاء والمحدثين ، ولا نفرق بينهما كما فعل الغزالي .

الهوامش :

* - أزمة الحوار الديني : نقد كتاب (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) . المؤلف : جمال سلطان . الصادر عن مكتبة السنة ، توزيع دار الصفا - القاهرة ، الطبعة الأولى عام ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

١ - أزمة الحوار الديني ، ٨ ،

٢ - المصدر السابق ، ٩ ،

٣ - المصدر السابق ، ٩ ،

٤ - المصدر السابق ، ١١-١٢ ،

٥ - المصدر السابق ، ١٨ .

في الدعوة والعمل @توجيهات تربوية

صالح بن عبد الله الدرويش

إن الحمد لله ، نحمده ونستعين به ونعوذ به من سيئات أعمالنا وبعد:
فإن الخير في هذه الأمة باق إلى قيام الساعة مهما ادلهمت الفتن وانفض الأعوان عن الطائفة المنصورة، ومن بشارات الخير عودة الناس ورجوعهم إلى ربهم - سبحانه وتعالى- والمناداة بالرجوع إلى هدي الرسول -صلى الله عليه وسلم- والعمل على ذلك.
ومع بروز الصحوة الإسلامية واستبشار المسلمين بها إلا أنه لا يغني عن دراسة الواقع لتقييم الخلل والسعي لإكمال النقص ، من غير نقد للأشخاص أو تشهير بالجماعات والأفراد ، بل التمسك بالحق وحده.

صور من الميدان العملي :

الدارس لميدان الدعوة العملي يجد قضايا كثيرة تحتاج إلى بيان ، ونقف اليوم مع إحدى تلك القضايا ألا وهي تأثير صغار الشباب على زملائهم ، وذلك لانشغال غيرهم بالمؤتمرات وبحوثها ، والتأليف في مواضيع مكررة غالباً مع حرصهم على نشرها ، ناهيك عن مشاغل الحياة وفتور الهمم ، وحصل من هذا أن تولى تربية الشباب أمثالهم ، فهم الذين يقومون بالتوجيه والإرشاد ، بل وتقويم الكتب والرجال والمدارس الدعوية ؛ لذا لا بد من تدارك الأمر بمشاركة طلبة العلم الشباب ومصاحبتهم والكتابة لهم بما ينير الطريق أمامهم .

الوقفه الأولى : الجانب التعبدي :

تسمع ما يعجبك من أن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، وأنه لا عون للمسلمين إلا بصدق الالتجاء إلى الله .. وإذا نظرت في مصداق ذلك من خلال الواقع العملي تجد التفريط بالواجبات المكتوبة ، وفعل المحرمات، ومن الأمثلة :
 أ- التهاون بأداء الصلاة مع الجماعة، لا سيما الفجر، وقد يؤديها المصلي بعد شروق الشمس.
 ب- عقوق الوالدين وإهمال حقوقهما وكذا سائر من تجب صلته.
 ج- موالاتة الكفار وعدم التفريق بين المسلم وغيره في التعامل، ومحبة أهل البدع وتأييدهم.
 د- التهاون بالذنوب عامة والإصرار عليها كأكل الربا، والمال الحرام، والخلوة بالأجنبية.. وغير ذلك مما حرمه الله .

وهذه المظاهر ينبغي دراستها والنظر في أسبابها وكيفية التخلص منها وعلاج الواقع، ولاسيما أن المدارس يجد الأمثلة الحية التي لا تحصى والتي تؤكد وجود النقص بل الخلل لدى قطاعات كبيرة من المجتمعات الإسلامية التي لا حرج من الجزم بأنها تعيش على عقيدة الإرجاء ؛ لذا لا بد من إعادة النظر في المناهج التربوية التي يسير عليها الدعاة وينبغي بذل كل ما في الوسع لغرس عقيدة الخوف من الله - سبحانه وتعالى - ومراقبته في النشء وتربية الشباب على الرغبة فيما عند الله من الأجر والثواب. وغرس هذه العقيدة في النفوس يحتاج إلى زمن وتضافر جهود ، والمهم السير في الطريق .

وثمار تأصيل هذه العقيدة لا تحصى، ويكفي أن عامة المشاكل المستعصية في الساحة الإسلامية بسبب ضعف الخوف من الله - سبحانه - ومراقبته .

الوقفه الثانية : الجانب العلمي :

يمكن رصد ما يلي بوضوح وبلا مشقة على مستوى العالم الإسلامي، وإن كان الوضع في بعض المناطق الإسلامية يبشر بخير والحديث هنا عن الشباب عامة والمنتسبين لطلب العلم منهم خاصة ويلاحظ :

- ١ - قلة الاهتمام بالدراسات الشرعية الجادة ؛ الإنتاج التجاري كثير ولكن الدراسات العميقة الأصيلة قليلة ، والأهم من ذلك أنك لا تجد مناهج للبحث.
- ٢ - التساهل في تلقي المعلومات وعدم البحث والتدقيق والنظر للعمل بالراجح وتغليب الخمول والتقليد، والاعتماد على السماع في عامة المسائل الفقهية ونحوها ، ويبرر الشباب وضعهم بأنه لا حرج من الاستفتاء وأن حَمَلَة الفقه كثيرون ، وهذا العذر مقبول من غير المتخصصين في الشريعة ، ولكن المصيبة حاصلة في قضايا الفكر المعاصر ، وبالتحديد في فقه الدعوة وفقه الواقع واتخاذ المواقف والقرارات في الأحداث المستجدة على الساحة الإسلامية ؛ فتجد الانغلاق الفكري وعدم السماع إلا من أفراد معدودين ولو كانوا - باعتراف أتباعهم - جهلة في العلم الشرعي ، فيتساهل الشباب في قبول الفتاوى من أي جهة ، وفي أي نازلة !
- ٣ - يحرص بعض الدعاة على التقليل من أهمية العلم والعلماء وفيهم من لا يتورع من نقد العلماء وإبعاد الشباب عنهم ، فهذه مصيبة والحديث عنها يطول وأختصره بإيراد قصة وسؤال.
 أما الحادثة فقد وقعت في إحدى المناسبات ، ففي تجمع شبابي ، قُدمت قصص فيها لمز بالعلماء وبعدها جرى نقاش في الموضوع وخلصته : هل يوجد في هذه الدولة علماء ؟ ، وأجمع من حضر أنه لا يوجد ومع هذا تجد النقد المؤلم يوجه للعلماء ، والسؤال : أيهما أهم تعلم العلم الشرعي أو سائر

العلوم الأخرى في حالة قلة الدارسين للعلم الشرعي من الدعاة ؟ ، ولكي يتضح المراد نضعه بالصيغة التالية :

تنبيهات لا بد منها :

- ١ - إشعار الشباب بحاجة المجتمع عامة والدعوة خاصة إلى العلماء الربانيين ، وأن الأمة عامة ، والصحة الإسلامية خاصة تعاني أشد المعاناة من قلة هؤلاء .
- ٢ - حث الشباب على طلب العلم وترغيبهم بذلك وتشجيعهم بالقول والعمل ، لعل الله - سبحانه وتعالى - يُخرج من بينهم علماء عاملين ، ومعلوم أنه في كل فن يقوم بدراسته والتخصص فيه آلاف الأشخاص ، ولا ينبغ منهم إلا النادر ، وكذلك في الشريعة الإسلامية ؛ فالشباب بأمس الحاجة إلى من يفقه الواقع ويتمكن من العلم الشرعي وأصوله ويتحلى بالورع والحكمة .
- ٣ - الحذر من تقليل شأن العلم الشرعي ، والابتعاد عن نقد العلماء لكي يستفيد الشباب من علمهم والدراسة عليهم ، وهذا لا يمنع من بيان نقاط الضعف عندهم أو التحذير من أخطائهم .
- ٤ - لا بد من بيان المنهج السليم لطالب العلم الشرعي للشباب وتشجيعهم على سلوكه ؛ لأنه منهج السلف الصالح ، فعلى المربين الاهتمام والنظر في ميول الشباب ورغباتهم وتوجيههم لطلب العلم .

الوقفة الثالثة : الوعي السياسي :

هذا الباب يدخل في فقه الواقع ، ورحم الله ابن القيم حيث جعل فقه الواقع يقابل الفقه الشرعي وشطره ، بل ذهب الإمام القرافي - رحمه الله - إلى أبعد من ذلك حين بيّن الفرق بين أدلة الأحكام وأدلة وقوع الأحكام وخرج بأن وقوع الأحكام أوسع ويحتاجها القاضي والمفتي وغيرهم ، فلا يمكن إيقاع الحكم على حادثة معينة إلا بعد معرفة أدلة وقوعها وما يتعلق بها .

إن الدارس لواقع الشباب يجد اهتماماتهم جيدة في متابعة أخطاء وزلات غيرهم ، ويعتقد البعض أن تتبع العثرات هو قمة الوعي السياسي والحقيقة أن هذه نظرة سطحية وتظهر فيها الضحالة لفقه الواقع والشرع ، ومن سلبياتها التربوية ما يلي :

أ- تعويد الشباب على الغيبة وذكر الشائعات وعدم التثبت من صحة الأخبار وبالتالي يصبح الشباب نقلة أخبار .

ب - فيه استهلاك للجهد والوقت وخاصة أن بعضهم يعتقد أن متابعة هذه الأخبار ونشرها عين الدعوة ، وأنهم بهذا العمل يخدمون الإسلام بينما العمل الإسلامي بحاجة إلى العمل ومواصلة التربية الإيمانية دون القيل والقال .

ج - زعم كثير منهم أنه بتلك المتابعة أصبح من علماء السياسة مع جهله بصحة الأخبار وعدم قدرته على تحليلها وإدراك أبعادها ، لذا يرى - من هذا وصفه - أنه ليس بحاجة إلى غيره لفهم الواقع وأن قراراته وأحكامه هي الصحيحة !

ضرورة شرعية لا بد منها :

لا بد من ربط الشباب بعقيدة الولاء والبراء والتأكيد على التعامل مع الناس من خلال تلك العقيدة فإن الدارس لعقيدة الولاء والبراء يتعامل مع أقاربه وجيرانه وسائر المجتمع من خلالها ، فلا تنحصر المحبة لمن يوافقه في أفكاره وآرائه بل المحبة لسائر المؤمنين من أقاربه وجيرانه وسائر الأمة .

وينبغي تنبيه الشباب على حفظ ألسنتهم وأسماعهم من الغيبة والقيل والقال ولا رادع عن ذلك إلا بالخوف من الله - سبحانه وتعالى - ومراقبته - عز وجل - وإذا جاء النقد من خلال الدراسات (وثائق وحقائق وأرقام) فهذا مطلب شرعي ولا حرج فيه .

الوقفه الرابعة :

يزداد يوماً بعد يوم عدد الشباب الذين منّ الله عليهم بالتمسك بتعاليم الإسلام ، ولكن آثارهم في الواقع الاجتماعي أقل من حجمهم ، وكسب الواقع اجتماعياً وجعله واقعاً إسلامياً من مهام الداعية الأساسية ، وخاصة في المدن الصغيرة والقرى والأرياف وذلك بالقيام بتطبيق تعاليم الإسلام وبذل مزيد من الجهد والعمل الإيجابي الجاد ليكون لهم دور قيادي وفعال في مجتمعاتهم والمصالح المترتبة على ذلك كثيرة ، وهنا لا بد من ذكر بعض الملاحظات :

أ- لا يمكن أن يكون للداعية ولا سيما الشباب قيمة في المجتمع وله قبول ومحبة لدى العامة من غير عمل إيجابي للعامة ، يُحمد عليه ، والأعمال - والله الحمد - متنوعة ومنها اليسير السهل ومن قام به نال الأجر والثواب ، ومن الأمثلة التي يغفل عنها مع أهميتها : صلة الرحم وزيارة الجيران والمناسحة ، وتولي إمامة المسجد ، وكذا الأذان والخطابة .

ب - ينبغي أن يكون للشباب تواجد في المشاريع الخيرية التي تخدم البلد والمساهمة في ذلك قدر الطاقة فإذا لم يكن ثمة مشاريع قائمة فعلى الشباب السعي والبدء بها ، لأن المشاركة في المشاريع الخيرية العامة تساهم في توثيق الصلة بين الشباب وغيرهم من أعيان ووجهاء البلد وبالتالي إزالة الفجوة فيما بينهم.

ج - ضرورة مخالفة الشباب للعادات المحرمة شرعاً وبيان سبب مخالفتهم لها ، والسعي لأن يفعل غيرهم فعلهم ، وكذلك امتثال الأوامر الشرعية وإحياء السنن، وحث غيرهم على ذلك ومتى كسب الشباب ثقة المجتمع سهل عليهم القيام بالمهمة الشاقة وهي مخالفة العادات ومحاربة البدع والمنكرات وإحياء السنن والعمل بها والله الموفق .

شذرات وقطوف

إعداد : نجوى محمد الدمياطي

أركان التوحيد**الرضى بالله رباً :**

أن لا يتخذ رباً غير الله تعالى يسكن إلى تدبيره ، وينزل به حوائجه، قال الله تعالى: ((قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبّاً وَابْتَغُوا اللَّهَ رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ)) [الأنعام: ١٦٤] قال ابن عباس رضي الله عنهما -: "سيداً وإلهاً" يعني فكيف أطلب رباً غيره. وهو رب كل شيء؟ وقال في أول السورة: ((قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبّاً وَابْتَغُوا اللَّهَ رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ)) [الأنعام: ١٤] يعني معبوداً وناصرأ ومعيناً وملجأ. وهو من الموالاة التي تتضمن الحب والطاعة. وقال في وسطها : ((أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً)) [الأنعام: ١١٤] أي أغير الله أبْتَغِي من يحكم بيني وبينكم ، فنتحاكم إليه فيما اختلفنا فيه ، وهذا كتابه سيد الحكام فكيف نتحاكم إلى غير كتابه ؛ وقد أنزله مفصلاً ، مبيناً كافياً شافياً .

وكثير من الناس يرضى بالله رباً، ولا يبغي رباً سواه ، لكنه لا يرضى به - وحده - ولياً وناصرأ ، بل يوالي من دونه أولياء ، ظناً منه أنهم يقربونه إلى الله ، وأن موالاتهم كموالاة خواص الملك وهذا عين الشرك ...

وكثير من الناس يبتغي غيره حكماً ، يتحاكم إليه ، ويخاصم إليه ، ويرضى بحكمه... وهذه المقدمات الثلاث هي أركان التوحيد : أن لا يتخذ سواه رباً ، ولا إلهاً ، ولا غيره حكماً .

(ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين ، ١٨٩/٢)

قاعدة الدعوة:

إن نظام الله خير في ذاته ، لأنه من شرع الله .. ولن يكون شرع العبيد يوماً كشرع الله .. ولكن هذه ليست قاعدة الدعوة ، إن قاعدة الدعوة أن قبول شرع الله وحده أياً كان - ورفض كل شرع غيره أياً كان - هو ذاته الإسلام ، وليس للإسلام مدلول سواه .

(سيد قطب : معالم في الطريق)

توجيه طاقة المسلم:

نحن بحاجة إلى إعادة تنظيم طاقة المسلم الحيوية ، وتوجيهها ، وأول ما يصادفنا في هذا السبيل هو أنه يجب تنظيم تعليم "القرآن" بحيث "يوشي" من جديد إلى الضمير المسلم "الحقيقة" القرآنية ، كما لو كانت جديدة ، نازلة من فورها من السماء على هذا الضمير ...

وثاني ما يصادفنا هو أنه يجب تحديد رسالة المسلم في العالم . فبهذا يستطيع المسلم منذ البداية أن يحتفظ باستقلاله الأخلاقي ، حتى لو عاش في مجتمع لا يتفق مع مثله الأعلى ومبادئه، كما أنه يستطيع أن يواجه - رغم فقره أو ثرائه - مسؤولياته مهما يكن قدر الظروف الخارجية الأخلاقية والمادية.

(مالك بن نبي : ميلاد مجتمع)

سبيل المجرمين:

حتى يظهر الحق فلا بد أن يستبين الباطل .. وطالما أن الباطل متخفٌ وراء شعارات وأسماء فلن يكون الحق ناصعاً -إلا لمن عصم الله - .
فإظهار عوار المبطلين وجهل الجاهلين والأعيب المزيفين هو ظفر في حد ذاته لدين الله - تعالى - ، وقد قال - عز وجل - : ((وَلْيَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ)) [الأنعام: ٥٥] ؛ فاستبانة سبيل المجرمين هدف بذاته مطلوب بنص كتاب الله - تعالى - وهو هدف أسمى .

(محمد العبد : مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم)

خواطر في الدعوة من سنن الأنبياء الأخذ بالأسباب المادية

محمد العبد

في غمرة الاندفاع العاطفي ، وزحمة الأحداث والقراءات السطحية ، يتناسى المسلمون أو قد يجهلون سنن التغيير التي أودعها الله - سبحانه وتعالى - في كتابه أو أجراها على لسان نبيه - صلى الله عليه وسلم- بل إن بعض هذه السنن قد يعرفها الناس بالتجربة الطويلة والخبرات المتراكمة المتأملّة ، ومن هذه السنن أن الدعوات الصادقة إذا أريد لها النجاح لا بد لها من قوى تؤيدها وتنصرها ، قوى من التكتل الجماهيري الذي يلتف حول هدف واضح محدد أو - بمصطلح ابن خلدون - لابد من (العصبية) التي تعني الالتحام والتعاقد والتناصر لتحقيق هدف معين ، وليس المعنى المذموم لكلمة (عصبية) ، وإذا كان التكتل سابقاً يعتمد على القبائل والعشائر ، فإنه في

العصر الحديث يعتمد على جميع شرائح المجتمع ، الذين يلتفون حول علماء - فقهاء ، يعلمون بفقهم وتفكيرهم سنن التغيير وتحويل المجتمعات والتأثير فيها ، وخاصة ما نحن فيه من تعقيدات هذا العصر.

هذه القوة والمنعة هي التي افتقدها نبي الله لوط - عليه السلام - حين قال : ((قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ)) [هود: ٨٠] ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «رحم الله لوطاً كان يأوي إلى ركن شديد ، وما بعث إليه بعده نبياً إلا وهو في ثروة من قومه» (١) .

ويقول الإمام الجويني : "وما ابتعث الله نبياً في الأمم السالفة حتى أيدته وعضده بسطان ذي عدة ونجدة ، ومن الرسل - عليهم السلام - من اجتمعت له النبوة والأيد والقوة كداود وموسى وسليمان - صلوات الله عليهم أجمعين -" (٢) ، فإذا كان الأنبياء يؤيدون (بثروة من قومهم) وهي القوة والمنعة في العدد والعدة ، وهم مع ذلك مؤيدون بالمعجزات وخوارق العادات ، فكيف بغيرهم الذين يرومون التغيير بالعشرات أو المئات ، ويقولون نحن نتوكل على الله ، لا شك أن المسلم يطلب العون من الله ويتوكل عليه ، والله - سبحانه - وعد بنصر المسلمين ، ولكن لا بد من الأخذ بالأسباب الشرعية ، ومن أهمها جميع القوى التي تناصر وتعاضد .

هل درسنا هذا الموضوع بعمق وأناة أم أن مقولة (نعمل والنتائج على الله) لا تزال هي الشائعة والأكثر قبولاً ورواجاً ، مع أنها ظاهرياً صحيحة فهي كلمة حق تُستخدم في غير محلها ، فالقول بأننا نعمل يجب أن يمحص ؛ إذ ما أدراك أن عملك صواب ، قد أخذت فيه بالأسباب ؟ ، نعم ، إذا بذل الجهد الصحيح فالنتائج على الله ، أما أن يُعمل أي عمل ثم يقال (النتائج على الله) ؛ فهذا ضرب من حب السهولة ، وحتى نستريح نفسياً من اللوم والتقريع ، وحتى لا ننفد أنفسنا ، حتى لو فرضنا أنه توفر عنصر الإخلاص في هذا العمل ، فهذا لا يكفي إذ لا بد من معرفة سنن الله في التغيير .

الهوامش :

- ١ - صحيح الجامع الصغير ، ١٧٦/٣ . وقال عنه حديث حسن .
- ٢ - غياث الأمم ، ١٨٢ .

تاريخ

الطبقة الخامسة من الصحابة في كتاب

الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد

"عرض وتحليل"

(٢)

د. محمد بن صامل السلمي

دراسة تحليلية للطبقة الخامسة من الصحابة :

خصص المؤلف هذه الطبقة للذين كانوا أحداث الأسنان يوم قبض النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ولم يغز أحد منهم معه ، وقد حفظ عامتهم ما حدثوا به عنه ، ومنهم من لم يحفظ ما حدث به عنه ،

ولكن أدركه ورآه . فهذا شرطه فيمن يذكره في هذه الطبقة ويعتبره منهم ، فلننظر هل وقى بهذا الشرط ؟ وهل استقصى كل من ينفق عليهم هذا الشرط فذكرهم ؟
لقد ترجم لسته وأربعين رجلاً في هذه الطبقة ، منهم عشرة من بني هاشم ، ورجلان من بني أسد، وثلاثة من بني زهرة، وستة من بني مخزوم ، وتسعة من بقية قريش وحلفائهم ، وسبعة من الأنصار ، وخمسة من سائر القبائل ، وأربعة من أبناء اليهود الذين أسلموا ، وكلهم ينفق عليهم شرطه إلا ثلاثة :

١- عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب : ذكر أن عمره يوم مات النبي -صلى الله عليه وسلم- نحواً من ثلاثين سنة ، وقتل مجاهداً في أجنادين سنة ثلاث عشرة ، فإذا كان هذا عمره يوم مات النبي -صلى الله عليه وسلم- ، فكيف يكون من أحداث الأسنان ؟ ولعل قائلاً يقول : إنه نص على أنه لم يغز مع النبي -صلى الله عليه وسلم- وهذا من شرطه. ولكن ليس كل من لم يغز مع النبي -صلى الله عليه وسلم- يدخله في هذه الطبقة وإن كان كبيراً في السن.

٢- ثابت بن الضحاك بن خليفة بن ثعلبة بن عدي بن كعب الأشهلي : فإنه قد وهم في اعتباره من هذه الطبقة بسبب التشابه بين اسمه واسم صحابي آخر هو ثابت بن الضحاك بن أمية بن ثعلبة الخزرجي ، والأول أوسي ، ولعل الخزرجي هو مراد بن سعد فإنه هو الذي ينطبق عليه شرطه في هذه الطبقة أما الأوسي فإنه ممن شهد الحديبية.

٣- عبد الله بن صياد ، وأمره مشكل ، واختلف فيه هل هو الدجال الأكبر أم غيره ؟ وجزم كثير من أهل العلم بأنه دجال من الدجاجلة .

وقد عرض عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- الإسلام فلم يقبل ، وكونه أسلم وصلح حاله بعد ذلك ، لا يكون مسوغاً لإدخاله في الصحابة ؛ لأنه لم يؤمن بالنبي -صلى الله عليه وسلم- حال لقيائه له ، ولكن ابن سعد لم ينفرد باعتباره من الصحابة ، بل ذكره غيره ممن ألف في الصحابة . وبالنسبة للسؤال الثاني الذي طرحناه ، هل استقصى كل من انطبق عليه شرطه في هذه الطبقة ، والجواب : أنه لم يشترط الإحاطة والاستيعاب، فإذا وجد من هذا حاله ولم يذكره فلا يؤخذ عليه . وإن ممن يمكن اعتباره في هذه الطبقة ، النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي ، فإنه في سن عبد الله بن الزبير أو قريباً منه ، ولم يغز مع النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وهو ممن روى عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وحفظ عنه ، وأحاديثه كثيرة مشهورة ، قال الذهبي : هو من الصحابة الصبيان باتفاق (١) .

وكذا يزيد بن الأسود بن سلمة بن حجر الكندي ، فقد نص ابن حجر - في "الإصابة" - على أنه من الصحابة الصغار (٢) ، ولم يترجمه ابن سعد في هذه الطبقة ولا غيرها إلا أنه ذكره عندما ترجم لوالده في الطبقة الرابعة وقال : إنه وفد على النبي -صلى الله عليه وسلم- مع والده وهو صغير فدعا له (٣) .

وفي ترتيبه للأسماء داخل الطبقة التزم بالترتيب على النسب كما فعل في الطبقات السابقة إلا في أشياء

يسيرة ، فقد ذكر عبد الرحمن بن أبزى مولى خزاعة، بعد السائب بن يزيد الكندي، وكان حقه أن يذكر بعد نافع بن عبد الحارث الخزاعي - حسب المنهج الذي سار عليه في الطبقات السابقة بذكر مولى القوم وحليفهم معهم . ومن ذلك ذكره عبد الله بن ثعلبة بن صغير، حليف بني زهرة وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، مولى الخطاب بن نفيل ، بعد مولى خزاعة وكان حقهما أن يذكرهما ضمن حلفاء قريش ومواليهم وأيضاً بالنسبة للأنصار فإنه لم يفصل الأوس عن الخزرج بل ذكر الأسماء مختلطة.

وقد ذكرنا من الظواهر العامة في منهجه ، أنه يطيل في بعض التراجم ويختصر في أخرى، وهذا بيّن في هذه الطبقة ، فإن أربعة منهم (٤) قد شغلوا أربعاً وعشرين ومائة لوحة من المخطوطة ، وبقيّة التراجم - وعددها اثنتان وأربعون ترجمة - كانت في إحدى وأربعين لوحة فقط . وبالنسبة للروايات والأسانيد، فقد بلغت في هذه الطبقة خمس عشرة وسبعمئة رواية . منها اثنتان وسبعون وخمسمائة رواية في تراجم الأربعة المذكورين، وثلاث وأربعون ومائة رواية في بقية التراجم. ولو بحثنا عن سبب ذلك لوجدنا أن أهمية المترجم، وتوفير المعلومات لدى المصنف لها نصيب في هذا ، فهؤلاء الأربعة كان لهم إسهامات علمية ، ومشاركات سياسية ، ولهم منزلة قيادية في توجيه المجتمع والتأثير عليه.

ولذا اعتنى بتتبع أخبارهم وفضائلهم، وحياتهم الاجتماعية، والسلوكية، ومواقفهم السياسية ، وقد وجد مادة علمية تساعده على بناء الترجمة وصياغة تاريخها.

فمثلاً في ترجمة عبد الله بن عباس - بعد أن ساق نسبه وذكر أولاده - ساق سبع روايات تتعلق بتحديد زمن ولادته ، ثم سبع عشرة آية عن دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- له ، ورؤيته لجبريل ، ثم ركز على فضائله العلمية، وتقدمه في ذلك حتى صار إماماً يُستفتى في كثير من العلوم الشرعية والعربية، وذكر ملازمته لعمر بن الخطاب، وعلاقته مع عثمان بن عفان وأنه استخلفه على الحج عندما حُصر ، ثم وقوفه مع علي بن أبي طالب بالمشورة والعمل له ، ومحاجته للخوارج ، ثم موقفه من خلافة يزيد ، ومن عبد الله بن الزبير ، ثم ذكر ثلاثين رواية تتعلق بهيئته الشخصية مثل خاتمه ، ولباسه ، وعمامته ، وإزاره ، وشعره ، وخضاب لحيته... الخ . ثم ذكر أكثر من عشر روايات تتعلق بوفاته وثناء المعاصرين له عليه.

والمعلومات التي قدمها عن ابن عباس معلومات أولية قيمة موثقة بالإسناد حفظها ابن سعد في هذا الكتاب الذي يعتبر من أقدم المصادر التي وصلت إلينا عن تاريخ الصدر الأول من الصحابة والتابعين ، وبعملية إحصائية نجد أنه قدم هذه المعلومات من خلال إحدى وأربعين ومائة رواية بلغت الأسانيد الصحيحة أو الحسنة ستة وخمسين سنداً ، والأسانيد الضعيفة اثنين وسبعين سنداً ، والأسانيد الضعيفة جداً ثمانية أسانيد ، والأسانيد المتوقف في الحكم عليها خمسة أسانيد ، وبلغ عدد المتون التي وردت من طرق أخرى صحيحة أو حسنة ثلاثة وخمسين سنداً ، وبذلك يرتفع عدد المتون الصحيحة إلى تسعة ومائة متن ، أي بنسبة ٧٧% بالنظر إلى عدد المرويات ، وهذه نسبة عالية إذا قورنت مع كتب التراجم والأخبار المماثلة.

وفي ترجمة الحسن والحسين ، قدم معلومات وافية عن تسميتهما وحلق شعورهما والعقيدة عنهما ، وفضائلهما ، وحياتهما الاجتماعية ، ومواقفهما السياسية وأطال في قصة خروج الحسين إلى العراق ومقتله ، ووصف ذلك وصفاً دقيقاً متتابعاً ، وأورد من التفاصيل الدقيقة عن لحظة مقتله ما يثير الشك في صدق تلك التفاصيل ، ومقدرة الرواية في ذلك الزمن على حفظ هذه المعلومات الدقيقة ونقلها ، وقد أورد خبر المقتل بأسانيد مجموعة كلها ضعيفة من طريق الواقدي عن شيوخه ، والمدائني عن شيوخه ثم كمل ذلك بروايات مفردة من طريق المدائني ومن طريق الواقدي ومن طريق شيوخ آخرين ، وبلغ عدد الروايات المفردة خمساً وأربعين رواية والذي صح إسناده منها ثمان روايات فقط ، مما يدل على مبلغ التزديد والوضع في هذه القضية ، التي كانت فرصة جيدة للمذهب الشيعي في الدعاية له والاجتماع حول مبادئه ، واستغلال عواطف الناس ومشاعرهم بهذه القضية المؤثرة ، والمتابع لنشأة التشيع وتطوره يجد أنه قد دخل في طور وتحول فكري جديد بعد حادثة مقتل

الحسين ، وأنه اتخذ هذه الحادثة معلماً من المعالم المتجددة في كل عام ، ومأتماً يُظهرون به الجزع والحزن لإثارة العامة وكسب مشاعرها.

وهذا القسم يشكل جزءاً مستقلاً ، عنوانه بقوله : مقتل الحسين - صلوات الله عليه - وفي آخره قال : آخر مقتل الحسين بن علي - رحمه الله - .

أما ترجمة ابن الزبير فقد شغلت إحدى وثلاثين لوحة ذات وجهين من المخطوطة ، استوعب فيها نواحي متعددة من حياة عبد الله بن الزبير ، عن ولادته ونشأته ، وأولاده ، وفضائله ، ومشاركته في الحياة العامة ، وزهده وعبادته وموقفه من الأحداث في عصره ، وموقفه من بيعة يزيد بن معاوية ، ثم مبايعته بالخلافة بعد موت يزيد ، والأحداث التي تمت في خلافته ، مثل بناء الكعبة ، وثورة التوابين ومقتل المختار ، ومعركة برج راهط ، وانتزاع عبد الملك بن مروان العراق ، ومقتل مصعب بن الزبير ، ويختتم الترجمة بوصف مقتله والأحداث التي صاحبت ذلك ، ويصف الساعات الأخيرة وصفاً تسجيلياً دقيقاً ، وقد يكون فيها مبالغة ولكن رواته هنا أمثل قليلاً من رواته في مقتل الحسين - رضي الله عنه - ولبعض ما ذكره بإسناده الجمعي في مقتل ابن الزبير شواهد صحيحة ، وقد اشتملت الترجمة على مائة رواية ، عن تسعة وعشرين شيخاً ، والرواية الأساسي فيها هو الواقدي ، حيث تشكل نسبة الرواية عنه ٣٩% من عدد المرويات ، ومنها خمس روايات طويلة وبأسانيد مجموعة تمثل الجانب التاريخي من حياة ابن الزبير ، وتمثل ٥٠% من النصوص الواردة في ترجمته مما يمكن معه القول بأن حوالي ٧٥% من ترجمة ابن الزبير هي من طريق الواقدي ، ولذلك فإن نسبة النصوص الصحيحة فيها أقل مما في ترجمة ابن عباس ، إذ تبلغ نسبتها قريباً من ٥٢% من عدد المرويات.

وفي ترجمة المسور وهو ممن عاش مع ابن الزبير وناصره ، نجده يقدم ترجمته من خلال سبع وثلاثين رواية منها ست وعشرون رواية من طريق الواقدي وهي تشكل ٧٠% من عدد المرويات ، وعدد المتون الصحيحة في الترجمة يمثل ٣٨% وهي نسبة قليلة ، ولكن إذا أخذنا في الاعتبار النصوص التاريخية التي يرويها الواقدي من طرق عبد الله بن جعفر عن عمته أم بكر بنت المسور فإن النسبة ترتفع إلى ٧٥% .

بينما نجد ترجمة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وهي تأتي بعد ترجمة المسور في الطول - وهو حجازي عاش بالمدينة - لا تمثل روايات الواقدي فيها سوى ٣٤,٥% بالنسبة لعدد المرويات البالغ ثلاثاً وعشرين رواية ، ونسبة المتون الصحيحة فيها ٥٥,٦% .

وفي ترجمة الضحاك بن قيس الفهري يورد المؤلف سبع روايات، واحدة عن عفان بن مسلم ، واثنان عن الواقدي، وأربع روايات عن المدائني، منها رواية بأسانيد مجموعة، وفيها تفصيل لموقعة مرج راهط ومقتل الضحاك، وهي طويلة إذ تشكل حوالي ٧٠% من كامل الترجمة. أما بقية التراجم فهي قصيرة ورواياتها قليلة.

ولو تتبعنا المعلومات والنصوص المتعلقة بالأحداث التاريخية - والتي أوردها المصنف من خلال تراجم هذه الطبقة - وحاولنا تحليلها ونقدها لوجدناها تعطي صوراً متباينة ، وتعكس وجهات نظر متعددة ، لا يمكن تصنيفها في اتجاه واحد ، مما يعطي صورة واضحة عن مدى أمانة المصنف واستقامته ، وحرصه على عرض النصوص كما بلغته دون أن يتدخل في توجيه النصوص وفرض رأي محدد على القارئ ، لقد تعمد أن يترك له الحكم على الروايات من خلال المصادر ، ومعرفة عدالة الرواة وجرحهم واتجاهاتهم الفكرية ، وقد أسهم في بيان شيء من هذا في تراجم غير الصحابة - رضي الله عنهم - .

وذكر نصوصاً مضيئة في ترجمة الحسن بن علي ورغبته في جمع الأمة ، وإيقاف القتال ، وأن ذلك لم يكن عن عجز منه ، وإنما تحققت فيه نبوءة النبي -صلى الله عليه وسلم- : «إن ابني هذا سيد وعسى الله أن يصلح به - وفي رواية على يده - بين فئتين من المسلمين عظيمتين» ، فكان أول ما بايع أهل العراق بعد مقتل علي - أنه اشترط عليهم أن يدخلوا فيما دخل فيه ، ويرضوا بما رضي به (٥) ، ثم خطبهم وقال في خطبته : وإني والله ما أحببت أن ألي من أمر أمة محمد ما يزن مثقال حبة من خردل يهراق فيه محجمة من دم ، قد علمت ما يضرني مما ينفعني ، وقال في موطن آخر : كانت جماجم العرب بيدي ، يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت فتركها ابتغاء وجه الله، وقال في الخطبة التي تنازل فيها لمعاوية : إني كنت أكره الناس لأول هذا الحديث ، وأنا أصلحت آخره ، لذي حق أدبت إليه حقه أحق به مني ، أو حق جُدت به لصالح أمة محمد . وقال في موضع آخر: ولكني خشيت أن يأتي يوم القيامة سبعون ألفاً ، وثمانون ألفاً أو أكثر من ذلك أو أقل كلهم تنضح أوداجهم دماً، كلهم يستعدي الله فيم أهريق دمه .

فهذه النصوص الصحيحة تبين بجلاء موقف الحسن من النزاع في أمر الخلافة ، وحرصه على حقن الدماء ، وجمع كلمة الأمة ، وإطراح المصلحة الخاصة في سبيل المصلحة العامة.

وقد تعرض لذكر الأحداث الكبيرة المثيرة التي مرت بها الأمة ، مثل مقتل الحسين - رضي الله عنه - ، والحررة ، وحريق الكعبة ، ومرج راهط ، وثورة المختار بن أبي عبيد ثم مقتله ، ومقتل مصعب بن الزبير ، وحصار مكة الثاني والقتال في الحرم ، ومقتل ابن الزبير.

وأورد الأخبار عن هذه الأحداث بأسانيد مجموعة ، ويكملها بأسانيد مفردة ، والأسانيد المجموعة من ناحية درجتها حسب أصول الصناعة الحديثية ، إما ضعيفة ، أو ضعيفة جداً ، أو موضوعة.

أما الأسانيد المفردة ففيها الصحيح والحسن وفيها الضعيف والضعيف جداً ، أما متون هذه الأخبار ، ففيها الصحيح ، والمشهور الذي له شواهد تعضده وتقويه ، وفيها ما يقارب الواقع ولا يستنكر ، وفيها ما في ألفاظه نكارة ، وفيها ما تظهر عليه لوائح الوضع والكذب.

وكل واحدة من هذه القضايا (٦) تحتاج إلى دراسة مستقلة ، تجمع فيها الروايات على سبيل الحصر والاستقصاء للمصادر كافة وبحسب تنوعها ، ثم تحقق وفق الأصول العلمية، ليعرف الصواب من الزائف ، والحق من الباطل ، وذلك يحتاج إلى جهد كبير ودراية علمية ، وخبرة واسعة بمصادر التراث الإسلامي ، وهذا ينطبق على القضايا كافة في التاريخ الإسلامي ، إذ كثير من الباحثين المعاصرين يكتبون في هذه القضايا وهم لا يملكون الدراية العلمية بمناهج علمائنا السابقين ، فتأتي أبحاثهم ناقصة ، وأحكامهم ضعيفة ومستعجلة ، وغير محيطة بالقضية من جوانبها كافة ، ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا المقام أن الاستقامة الفكرية على الاعتقاد الصحيح ومنهاج أهل السنة والجماعة من أكبر العوامل لإصابة الحق ، وتوفير الاتزان العلمي في البحث ، وذلك أن التلوث بشيء من الانحرافات الفكرية المعاصرة ، أو الاتجاهات البدعية - التي ظهرت على امتداد التاريخ الإسلامي - لا يوفر لصاحبه الاتزان العلمي المطلوب في بحث القضايا، وإنما يسوقه هواه، وانحرافه وبدعته -إلى تبني أحكام مسبقة ، ثم يلتقط من الأدلة ما يؤيدها ويقررها ويترك ما عاها .

الهوامش :

١- سير أعلام النبلاء : ٣/٤١١

٢- الإصابة : ٦/٣٤٨

٣- الطبقات : ٧/٢٠٣ .

٤- هم ابن عباس ، والحسن ، والحسين ، وعبد الله بن الزبير .
٦٥- قد بينا - والحمد لله - درجة الأسانيد التي رُويت بها هذه القضايا ، وخرَّجنا النصوص من المصادر الحديثية والتاريخية وعلقنا على كل قضية في تحقيقنا لهذا الجزء من طبقات ابن سعد .

اختيارات فقهية

صرف الزكاة لشراء كتب العلم

قال ابن تيمية : "ومن ليس معه ما يشتري كتباً يشتغل فيها ، يجوز له الأخذ من الزكاة ما يشتري به ما يحتاج إليه من كتب العلم الذي لا بد لمصلحة دينه ودنياه منه" .
(مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ١٦/٢)

الذهاب إلى الأسواق والمنتزهات

"ليس للإنسان أن يحضر الأماكن التي يشهد فيها المنكرات ولا يمكنه الإنكار إلا لموجب شرعي : مثل أن يكون هناك أمر يحتاج إليه لمصلحة دينه أو دنياه لا بد فيه من حضوره أو مكرهاً ، فأما حضوره لمجرد الفرجة وإحضار امرأته تشاهد ذلك ، فهذا مما يقدح في عدالته ومروءته إذا أصر عليه والله أعلم" .
(ابن تيمية : الفتاوى ٢٣٩/٢٨)

شرح حديث : «أنت ومالك لأبيك»

عن عائشة - رضي الله عنها - : "أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم- يخاصم أباه في دَيْن عليه ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم- : «أنت ومالك لأبيك» [صحيح ابن حبان ، ٣١٦/١].

قال ابن حبان : معناه أنه صلى الله عليه وسلم- زجر عن معاملته أباه بما يعامل به الأجنبيين ، وأمر ببره والرفق به في القول والفعل إلى أن يصل إلى ماله ، فقال له : «أنت ومالك لأبيك» ، لا أن مال الابن يملكه الأب في حياته عن غير طيب نفس من الابن به.

القيام والتقيل

سئل الإمام مالك - رحمه الله - : "قيل : فالرجل يقوم للرجل له الفقه والفضل فيجلسه في مجلسه ؟ ، قال : يكره ذلك ولا بأس أن يوسع له .
وسئل عن الرجل يقبل يد الوالي أو رأسه ، قال : ليس ذلك من عمل الناس (عمل أهل المدينة) وهو من عمل الأعاجم" .

(أبو زيد القيرواني : الجامع ، ١٩٧)

القيام وإصلاح ذات البين

"ولم تكن عادة السلف على عهد النبي صلى الله عليه وسلم- وخلفائه الراشدين أن يعتادوا القيام لمّا يرونه - عليه السلام - كما يفعله كثير من الناس ، فكانوا إذا رأوه لم يقوموا له ، كما يعلمون من كراهته لذلك ... وأما القيام لمن يقدم من سفر ونحو ذلك تلقياً له فحسن" .
"وإذا كان من عادة الناس إكرام الجائي بالقيام ولو تُرك لاعتقد أن ذلك لترك حقه أو قصد خفضه ، ولم يعلم العادة الموافقة للسنة ، فالأصلح أن يقام له ؛ لأن ذلك أصلح لذات البين، وإزالة التباغض والشحناء" .

من تاريخ الإسلام @معن بن عدي الأنصاري

معالي عبد الحميد حمودة

عندما نستعرض تاريخ الصحابة الأماجد - عليهم من الله سحائب الرحمة والرضوان - نجد تاريخاً عظيماً لأبطال عمالقة ، ومن هؤلاء معن بن عدي بن عجلان الأنصاري ، وهو صحابي مجاهد ، كان رجلاً مثقفاً في جاهليته ، يجيد الكتابة بالعربية ، وكان من يكتب حينئذ في العرب تتجه إليه الأنظار بكل الاهتمام والتقدير.

انطلق معن بن عدي وكان مثقفاً متعلماً ، فأسرع للإسلام والإيمان برسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم- ، ولذلك كان أحد السبعين البواسل الذين سبقوا إلى الاستجابة في بيعة العقبة الأخيرة. وتمت الهجرة النبوية ، وأخى رسول الله صلى الله عليه وسلم- بين معن بن عدي وزيد بن الخطاب شقيق عمر - رضي الله عنهما - ، والغريب أن هذين المتأخيين في الله تأخيا كذلك في ميدان الجهاد في سبيل الله - تعالى - ، وتأخيا كذلك لنيل الشهادة معاً في معركة واحدة ، هي موقعة اليمامة فمضيا أخوين إلى عالم البقاء.

معن يشارك في هدم مسجد الفتنة :

حرص معن بن عدي - رضي الله عنه - على مواقف الفداء والوفاء لكلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فشهد غزوات بدر ، وأحد ، والخندق ، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم-، لكن في غزوة تبوك قام المنافقون بالإقدام على عمل غاية في الخطر ، من شأنه تفريق كلمة المسلمين وتشيتيت وحدتهم فبنوا "مسجد الضرار" ؛ ليكون مكاناً تحاك فيه المؤامرات ضد الإسلام والمسلمين.

هذا التصرف الذي صورته القرآن الكريم في سورة التوبة : ((وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)) [التوبة: ١٠٧] ، اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم- ثلاثة رجال ، وأمرهم بالتوجه إلى ذلك المسجد وهدمه وإحراقه ، انطلق الرجال وكانوا: مالك بن الدخشم ، ومعن بن عدي ، وشقيقه : عاصم بن عدي ، وأنجزوا المهمة على خير وجه ، حرصاً على كلمة الإسلام ووحدة المسلمين ، ومنعاً من انتشار الفتنة.

معن بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) :

تتجلى معادن الرجال في المواقف التي تتطلب الرجولة والسيطرة ، ولا يعرف تاريخ الإسلام كله موقفاً في منتهى الخطورة مثلما حدث عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم- ، هذا الموقف الذي - لولا عناية الله (تعالى) بدينه - ما كان للإسلام بقية.

انتقل النبي صلى الله عليه وسلم- إلى جوار ربه الكريم ، وأخذ المسلمون يبكون وهم يقولون : "والله لو ددنا أنا مُتنا قبله ، نخشى أن نفتنن بعده" ، وبكل الثبات والرجولة والإيمان العميق الكامل ، يقف معن بن عدي - رضي الله عنه - كما جاء في "الطبقات الكبرى" لابن سعد ويقول : "وإني والله ما أحب أني مت قبله حتى أصدقه ميتاً كما صدقته حياً". هذه العبارة رغم أنها توضح عدم

استخفاف معن بن عدي بالمصيبة الكبرى في فقد النبي -صلى الله عليه وسلم- ، إلا أنها تشير إلى وجوب الثبات على الإسلام وعلى متابعة النبي -صلى الله عليه وسلم- سواء أكان حاضراً أم كان غائباً .

ولذلك نرى معن بن عدي يحرص على ألا تكون هناك فتنة بسبب اختيار خليفة للرسول -صلى الله عليه وسلم- ، وعندما رأى بعض التعدد في الآراء في اختيار الخليفة ، سارع مع الصحابي "عويم بن ساعدة" إلى أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وجعل يقول له مع صاحبه : "إنه باب فتنة ... نرجو أن يغلقه الله بك".

معن شهيداً في سبيل الله :

لكل إنسان أجل لا يتقدم ولا يتأخر لحظة أو ثانية واحدة ... وظل الصحابي المجاهد النبيل يجاهد في كل موقع ، ويحافظ على وحدة المسلمين ، ويحارب تفرقهم إلى أن حانت اللحظة الأخيرة المجيدة. كانت هذه اللحظة يوم موقعة اليمامة ، إذ خرج الأخوان المجاهدان - معن بن عدي ، وزيد بن الخطاب (رضي الله عنهما) - ، وكانت الفتنة يومها ضارية ؛ إذ انتشرت الردة هناك بقيادة (مسيلمة بن حبيب) -مسيلمة الكذاب - انتشاراً خطيراً .

تقدم معن بن عدي وزيد بن الخطاب ومعهما أبطال الإسلام ، كان هدف الجميع وضع حد نهائي لهذه الفتنة مهما كان الثمن ، وحمل زيد الراية ، وهتف معن بالمسلمين ليثبتوا ويتقدموا ، وظل البطلان يتقدمان ويجاهدان حتى حققا - مع إخوانهما - النصر المبين .

وكان للنصر ثمن كبير هو الشهادة في سبيل الله .

وسقط معن بن عدي مع زيد بن الخطاب ... فرضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

ركائز الدعوة إلى الله

موزة بنت محمد

الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - واجب على كل مسلم ومسلمة كل حسب طاقته وقدرته ، وظروفه ، قال - تعالى - : ((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) [يوسف: ١٠٨] .

والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الجاهل ووعظ الغافل ومجادلة الفاسق والكافر - هي سبب خيرية هذه الأمة ، وقد هيأ الله (سبحانه) - برحمته منه وفضل- لهذه الأمة علماء فضلاء ، كان لهم دور كبير في هذه الصحو المباركة ، فأثمرت دعوتهم هذه الجموع من الشباب المستقيم على دين الله في حماسة وقوة واندفاع والذين أصبح الكثير منهم اليوم دعاة إلى الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- وصراطه المستقيم كأنهم النجوم الزاهرة تهدي بإذن الله من يشاء ... فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

ولكن هناك بعض الأخطاء لا بد من ذكرها ، فقد تجد الشاب يستمع لبعض الدروس أو يقرأ في كتاب أو يجالس مجموعة فيتأثر بها ثم يصبح بين عشية وضحاها داعية متأثراً بشكر هذا الشخص أو ذلك أو هذه المجموعة أو تلك واندفاع الشباب وحماسه يصبح داعية لهذه الجماعة مهاجماً لغيرها مبتعداً عن منهج الله في الدعوة إليه ، ولا يخفى ما لهذه الفرقة بين جماعة المسلمين من أضرار جسام على الدعوة وعلى الأمة بوجه عام ، وما فيها من مخالفة للصراط المستقيم وأوامر الله - سبحانه -

حيث يقول : ((وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)) [الأنفال: ٤٦] .

ومن باب حب الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ودينه وأمته ، والنصيحة لهم كان لابد من التواصل بالحق بين المؤمنين . وأحببت التواصل مع أمل كل مؤمن وكل غيور على هذه الأمة .. مع الدعاء .

المنهج في الدعوة إلى الله :

يقول الله - سبحانه - : ((وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)) [فصلت: ٣٣] ، فهذه الآية العظيمة من كتاب الله العظيم تبين أن ركائز وأساسيات الدعوة إلى الله ثلاث وهي :

أ - الدعوة إلى الله وحده .

ب - العمل الصالح .

ج - الولاء للإسلام .

أ - الدعوة إلى الله وحده : لا شريك له ، فيكون هدف الداعية هو مرضاة الله - سبحانه - ونيل الأجر والمثوبة منه وحده وليس للأغراض الدنيوية مكان في نفسه فهو لا يدعو من أجل ربح مادي ولا سمعة ولا رياء ، ولا من أجل جماعة أو دولة أو غير ذلك ، وعليه فلا بد من اتباع ما أمر الله به، وعلى من يريد ارتياد طريق الدعوة أن يتزود بأمور:

أولها : الإيمان بالله وحده لا شريك له ، الإيمان الصادق الحي وما يتضمن من رقة القلب وتقوى الله ورجاء في ثوابه ، وخوفاً من عقابه ، يقول الله - سبحانه - : ((وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى)) [البقرة: ١٩٧] . ورقة القلب والتقوى نعمة من الله وهي لا تأتي بسهولة بل بمجاهدة للنفس ، ومن أحسن ما يعين عليها - بعد عون الله (تعالى) - قراءة القرآن بتمعن وتدبر والتفكير في سنن الله وملكوته والإكثار من النوافل ، والتقرب إلى الله بالطاعات وبالبعد عن المعاصي ، والدعاء في كل وقت ، وخاصة في جوف الليل بأن يبسرهما الله - سبحانه - ويعين عليها .

وطريق الدعوة شاق وصعب ويحتاج الداعية فيه لقوة كبيرة على التحمل والمتابعة، وهذه القوة مستمدة من الإيمان والارتباط بالله - سبحانه - واتخاذها وكيلاً وعدم الغفلة عن ذكره، وقد أوصى الله - سبحانه - نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم - إمام الدعوة وقديوتهم الحسنة بذلك في خواتيم سورة الأعراف ، فبعد أن بيّن جوانب من طريق الدعوة قال: ((وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ)) [الأعراف: ٢٠٤-٢٠٥] .

ومن نتائج الإيمان الصادق تطهير النفس من كل رذيلة - كما يقول الإمام ابن قدامة المقدسي (رحمه الله) في كتابه "مختصر منهاج القاصدين" : "وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك، واشتغل بإصلاح باطنك، وتطهيره من الصفات الذميمة كالحرص والحسد والرياء والعجب قبل إصلاح ظاهره ... فإن مهلك نفسه في طلب صلاح غيره سفيه ، ومثله مثل من دخلت العقارب تحت ثيابه وهو يذب الذباب عن غيره" .

ثانيها: العلم النافع المستمد من كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - : يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين - في رسالة "زاد الداعية إلى الله (عز وجل)" - : "وأول ما يتزود به الداعية إلى الله - عز وجل - أن يكون على علم مستمد من كتاب الله ومن سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -

الصحيحة المقبولة ، وأما الدعوة بدون علم فإنها دعوة على جهل والدعوة على جهل ضررها أكبر من نفعها ؛ لأن هذا الداعية قد نصب نفسه موجهاً ومرشداً فإذا كان جاهلاً فإنه بذلك يكون ضالاً مضالاً والعياذ بالله" .

ويظهر أثر هذا الإيمان وهذا العلم على المؤمن بالسكينة والوقار والخشوع والتواضع وحب الناس وتمنى الخير لهم والعطف عليهم ، والنصح لهم في غير فظاظاة ولا تجريح ولا تشهير، ويظهر البشاشة في وجهه ويحفظ لسانه ، ويراعي الله - سبحانه - ويتقيه في كل قول وفعل ، فهو يتمثل صفات عباد الرحمن كما وصفهم ربهم.

ب - العمل الصالح : يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - في كتاب "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" - :

"العمل الصالح الذي أمر الله به ورسوله هو الطاعة ، فكل طاعة عمل صالح ، وهو العمل المشروع المسنون ، لأنه هو المأمور به أمر إيجاب أو استحباب ، فهو العمل الصالح وهو الحسن وهو البر وهو الخير وضده المعصية والعمل الفاسد والسيئة ، والفجور ، والظلم والبغي" .

كما يجب أن يكون عمل الداعية مطابقاً لقوله ويكون هو بتصرفاته وأخلاقه ، وأعماله - قدوة لمن يدعوهم لما يدعوهم إليه من اتباع للصرط المستقيم فهو بكل ما يقوم به من قول أو فعل مثال للمؤمن الصالح المتبع لدينه وهدي نبيه - عليه الصلاة والسلام - فلا يدعو لصلاة الجماعة ويتخلف عنها ، ولا يدعو لإصلاح السريرة وقلبه ملىء بالحقد والحسد ، ولا يدعو الناس لترك الغيبة والنميمة ثم يأتيها هو وكذا باقي الأعمال .

والعمل الصالح والإيمان مترابطان تمام الارتباط ؛ فكلاهما مؤثر ومتأثر بالآخر . ومن العمل الصالح المطلوب من الداعية هو الدعوة على بصيرة يقول الله - سبحانه - : ((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) [يوسف: ١٠٨] .

ويذكر فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين : أن البصيرة في ثلاثة أمور : هي بصيرة فيما يدعو إليه وهي العلم بالكتاب والسنة ، وبصيرة في حال المدعو ، وبصيرة في كيفية الدعوة.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "ولا يكون عمله صالحاً إن لم يكن بعلم وفقه .. فلا بد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما ، ولا بد من العلم بحال المأمور وحال المنهي" .

ولا بد في ذلك من الرفق ، يقول الله - سبحانه وتعالى - ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)) [آل عمران: ١٥٩] ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم- : «ما كان الرفق في شيء إلا زانه ، ولا كان العنف في شيء إلا شانه» رواه مسلم.

ومما لا شك فيه أن الدعوة إلى الله من أشرف المهام التي يقوم بها الناس وأصعبها ولا بد أن يواجه الداعية من الأذى والآلام الشيء الكثير ؛ لذا وجب عليه التحلي بالحلم والصبر ، يقول ابن تيمية - رحمه الله - : "ولا بد أيضاً أن يكون حليماً ، صبوراً على الأذى ؛ فإنه لا بد أن يحصل له أذى ، فإن لم يحلم ويصبر يفسد أكثر مما يصلح ، كما قال لقمان لابنه: ((وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)) [لقمان: ١٧]" .

ويقول - سبحانه - : ((وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا

يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)) [فصلت: ٣٣-٣٦] .

ومما جاء في تفسير هذه الآيات (١) : أن الله - سبحانه - يثني على الداعية ويخبر عنه أنه هو في نفسه مهتدٍ بما يقوله ، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعدٍ وليس من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه ، وينهون عن المنكر ويأتونه بل يَأْتَمِرُ بِالْخَيْرِ ، وَيَتْرِكُ الشَّرَّ ، يدعو الخلق إلى الخالق - تبارك وتعالى - كما تبين في أسلوب الدعوة والحث على الحلم والصبر ، فيقول إن هناك فرقاً كبيراً بين الحسنة والسيئة ؛ ولذا ادفع من أساء إليك بالإحسان إليه ؛ فإنك إن أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنة إلى مصافاتك حتى يصير كأنه ولي حميم ، وبالطبع ليس هذا بالأمر الهين الميسر لكثير من الناس ولكن ما يلقاها إلا ذو نصيب وافر من السعادة ؛ لأنه صبر على الأذى في سبيل الله فهو سعيد في الدنيا والآخرة .

ولأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ولأنه توعد بأن يضل كل من يستطيع إضلاله من بني آدم وخاصة من يسير منهم على الصراط المستقيم - فقد يحس الإنسان بنزغ ووسوسة من الشيطان وعندها يبين الله - سبحانه - العلاج ألا وهو الاستعانة بالله إنه هو السميع العليم . وجدير بالذكر أن هذا النزغ والوسوسة تأخذ صوراً شتى منها الكبر وغمط الناس ومنها العُجب ومنها الحسد ومنها حب الظهور والسمعة ومنها الغلو والبدع وغيرها كثير لمن تفكر ...

ج - الولاء للإسلام : ((وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)) ؛ فانتماؤه للإسلام ودعوته للإسلام واعتزازه بالإسلام ، فقال إنني من المسلمين ولم يقل إنني من هذه الجماعة أو تلك ، وليس في قلبه ولاء لغير الله ورسوله ودينه الذين ارتضى بل يؤكد قولاً وفعلاً أنه من المسلمين .

وبعد ..

فإذا اجتمع في الداعية إيمان صادق وإخلاص لله وعلم نافع وعمل صالح وولاء لله وحده فلا بد أن يكون قوله هو أحسن الأقوال وحاله أحسن الأحوال ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

الهوامش :

١ - تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ، محمد نسيب الرفاعي .

إليك زميلتي ...

أروى إبراهيم عباس

أختي المسلمة : أيتها الطالبة الفاضلة ... أيتها الأخت المربية... أيتها الأم الحاضنة ؛ أنت معهد الرجال ، ومنبت الأبطال ، وأم العظماء ، ومدرسة القادة الأفاضل.. أنت مفخرة الزمان وأساس البناء ونواة المجتمع .

أنت - زميلتي - أمل الأمة ؛ بصلاحك يصلح المجتمع بأسره وتسد الأجيال قاطبة ، وبانحرافك - لاسمح الله - ينهار كيان الأمة ويتحطم بنيانها ، فأنت صلب البناء الذي تقوم عليه أعمدة الخير ، وأنت في الوقت ذاته العقبة التي تتحطم عليها الآمال العظام متى حادت عن الطريق . فلتعلمي أيتها الطفلة وأنت ترفلين في ثوب البراءة.. وأنت أيتها البنت وأنت تحلمين بعش العفاف والطهر والنقاء ، وأنت أيتها الزوجة كلما شغلت فكرك تفكرين في سعادة فلذات كبدك ومستقبلهم ... لتعلمي

زميلتي الطالبة وأنت تسهرين الليلي في طلب العلم ابتغاء وجه الله والدار الآخرة.. لتعلمي أختي المسلمة وأنت تسعدين بأي مرحلة من مراحل العمر وتعبرين أي طريق من طرق السعادة والعيش في هذه الحياة ، أنك تعيشين في غربة عَزَّ فيها الحق ، وندر فيها سالكوه وفشا فيها الجهل والفجور وكثرت فيها طرق الغواية ، وتنوعت سبل الضلال وقل الخير والصلاح .

نعم - يا عزيزتي - إنك تعيشين في عالم لا يابيه بك ، ولا يحترم لك قدراً ، ولا يقيم لك وزناً ، ولا يعرف لك فضيلة ، وليته يتركك وشأنك فيكفيك حينئذ رصيد الفطرة ليقودك إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، بل ليعاديك أشد العداة ويضلك من خلال جميع المنافذ والمسالك والثغرات وعبر كل قناة من قنوات الشر والفساد.

إنه ينصب شركه ويرسل أعوانه وشياطينه لملاحقتك في كل مكان ليدعوك باسم الحرية التي أصبحت المرأة الغربية تئن من جمرها وقد رأت بعينها بريقتها الزائف وقناعها المزور.

إنهم ينادونك اليوم - كما نادوها بالأمس - ينادونك بأسماء زائفة وألقاب طنانة وتساعدهم على ذلك وسائل الإعلام المختلفة التي يمسكون بخطامها ويوجهونها حيث شاءوا .. إنهم يهتفون لك ويلوحون : بالموضة.. بالأزياء.. بالفَرْجَة.. بالتحرر.. بالحب.. بالجمال.. بالفن.. بالزينة.. بكل ما يغري الأنوثة من أسماء وكلمات وكلها شرك خبيثة ومصائد تفتك بعفتك وتخدش حياءك وتنال من كرامتك وتدنس عرضك وشرفك وتقتل مروءتك وتزعزع عقيدتك ثم ترمي بك في أوحال الرذيلة ومستنقعات الجريمة وهوة الدمار.

فاستيقظي - أختي المسلمة - وكوني على حذر ، فلا تخدعك سموم هذه الألقاب الجوفاء والأسماء اللامعة والشهرة المصطنعة ، فقد تندمين ولات ساعة مندم ، وتصرخين فلا تجدين من يمد لك يد المساعدة.

مجالات الفن والتمثيل والمسرح.. المجالات الهابطة الخليعة التي تستعرض فيها زينات النساء وتزين أغلفتها بصور العاهرات المائلات المميلات.. ماذا تريد منك ؟ وماذا يريد منك أصحابها ومحرروها ؟ هل يريدون مصلحتك؟ هل يريدون تعليمك الأخلاق القويمة والآداب الحسنة ؟ هل يريدون إرشادك إلى الحق ؟ هل يريدون صيانتك والمحافظة على دينك واستقامتك عليه ؟ هل يريدون أن يذكروك بقول الحق - جل ذكره - ((وَلَا تَبْرَجْنَ نَبْرَجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)) [الأحزاب: ٣٣]؟! كلا وربّي .

منظر ذلك العملاق الضخم ذي العضلات المشدودة والسروال الذي قد يغطي سوءته أو شيئاً منها وبقية عورته مكشوفة لناظريك ، تمتلئ به عينك العفيفة الطاهرة الشريفة ، وهو يصارع مثيله في حلبة الشر وميدان الفجور على إقرار وإعجاب شديدين من آلاف المشاهدين. ماذا تريدون أن يترك في نفسك من أثر - وإن كان حياؤك أمام الناس ليمنعك من مشاهدة الشيخ العفيف الوقور المستتر السائر إلى بيت من بيوت الله؟! .

صوت الأغنية الفاجرة في شريط الكاسيت ، وما يصاحب ذلك من سم زعاف وآهات كاذبة تريد أن تغزو قلبك العامر بذكر الله لتملأه قبحاً وصديداً ، هلاً استبدلت بها ذكر الله وتلاوة القرآن الذي فيه شفاء ورحمة للمؤمنين؟! .

كلمات القصة الغرامية التي يكتبها القلم الفاسد الخبيث أو المستأجر الماكر وتنشرها وتوزعها دور النشر الماسونية الكافرة أو أعوانها من الدور التجارية الجشعة المغفلة والتي تسوقك حبكتها الفنية الفاجرة وأدوارها الماكرة إلى سوق الفتنة والبغاء ؛ فتأسر فكرك وتشوه عقيدتك .. هذه القصة وأمثالها ماذا تجنين من ورائها من خير؟! .

ألا تسألين نفسك هذه الأسئلة وتحاسبينها اليوم قبل أن يأتي يوم ((لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا)) [الأنعام: ١٥٨] ؟ ، هلا تعودين إلى رشدك وتعزمين على الحياة في ظلال القرآن والسنة ، تنهلين من معينهما العذب ، وترشفين من رحيقهما الصافي وتكونين قرّة عين لأهلك وقدوة خير لزميلاتك ؟ .. هلا تسارعين إلى حديقة الإيمان وتتوجهين إلى محرابك لتؤدي فريضة الصلاة كلما نادى المنادي قائلاً : الله أكبر ؛ لتكون لك نوراً وبرهاناً يوم القيامة وليثبتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة؟! .

هلا تعزمين العزم الأكيد على مقاطعة الأفلام الفاجرة والشرائط المحرمة والمجلات المضللة وأماكن السوء والفجور وخليقات العشق والسفور ؛ لتكوني عوناً على قيادة أخواتك إلى بر الأمان؟! .

هذا ما أرجو ، والله يوفقكن وإياي إلى ما فيه الخير والصلاح .

التدخين

وآثاره على الفم والأسنان والعين

د. خالد الموسى

ينتج عن تدخين السجائر أو الغليون أو مضغ أوراق التبغ :

١- في الأسنان واللثة :

- اصطبغ وتلوث الأسنان واللثة.
- ضعف وتشقق وتآكل الطبقات الحامية للأسنان (المينا) .
- التهاب اللثة وتقيحها ، ونزفها.

٢ - في الجوف الفمي والبلعومي :

- البخر ورائحة الفم النتنة الكريهة التي تفوح من المدخنين.
- بقع ملونة تظهر على الشفة واللثة واللسان والأسنان وباطن الفم.
- التهابات الأغشية المخاطية للفم والبلعوم نتيجة ضعف مقاومتها تجاه الجراثيم.
- والعوامل المرضية؛ حيث إن التدخين يشل وظيفتها الدفاعية بما تفرزه من مواد مخاطية حاوية على مواد مطهرة وقاتلة للعضويات الممرضة بواسطة المواد الحالة الخمائرية كالليزونيومات وغيرها.
- سرطان الفم والبلعوم .. وغالباً ما يسبق بظهور الطلاوة البيضاء والتي تعتبر مرحلة سابقة للسرطان.

٣ - في الشفة :

- التهاب الصوار وتشقق الشفة ؛ وذلك نتيجة التأثير المخرس الموضعي ونتيجة العوز الفيتاميني المرافق أحياناً وخاصة عوز فيتامين ب٢ .
- الطلاوة البيضاء على الشفة وباطن الخد واللسان وهي مقدمة ومهيئة لحدوث السرطان في مكان ظهورها.

٤ - في اللسان :

- التشققات والتقرحات على اللسان.

- التهاب الحلمييات الذوقية المزمن.. وبالتالي فقد الذوق ونقص الشهية.
- اتساخ اللسان وثخانتته وترسب طبقات كثيفة مع نمو العضويات الممرضة بسهولة كالمبيضات البيض وبعض الجراثيم.
- الطلاوة البيضاء.

٥ - في أمراض الغدد اللعابية :

يؤثر التدخين على الغدد اللعابية بنقص إفرازها من اللعاب بتأثير النيكوتين، وبتأثير موضعي؛ مما يؤدي لالتهابها وربما انسدادها وبالتالي قد تتشكل حصيات فيها . وإن نقص إفراز اللعاب يزيد جفاف الفم وتشققه وتأثره . وانتشار الرائحة النتنة (البخر) من الفم ..

٦ - التدخين والعين :

- إن تأثير نفث السجاير يخرش العين والأجفان مما يؤدي إلى :
- التهاب أطراف الأجفان وبالتالي تساقط الأهداب وتعرض العين للغبار والعوامل الممرضة، إضافة لزوال جمالها الطبيعي وتشوه الأجفان المرافق.
- التهابات وخراجات الغدد الدمعية ، والشعرة الجفنية العينية.
- التهاب ملتحمة العين التحسسي الأرجي وما يسببه من ألم واحتقان وإضرار بالعين.
- التأثيرات غير المباشرة على العين وذلك نتيجة ما يحدثه التدخين من تصلب الشرايين والخثرات مما يمهد لحدوث نثرات الوريد الشبكي العيني وتصلب شرايين العين .

منبر الشباب

الرجولة

محمد فرحان محمد

أعتقد أن لفظ "رجل" في القرآن لم يأت هكذا ، ولكنه أتى وصحبه موقف . والرجل - كل الرجل - لا بد أن يكون صاحب موقف .. ويأتي على رأس الرجال أصحاب المواقف .. الأنبياء والمرسلون والأمثلون من الصالحين والمصلحين.. وإليكم بعض الأمثلة :

١ - مؤمن آل فرعون :

((وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ)) [غافر: ٢٨] .

انظر إلى هذا الرجل.. الذي وقف كالجبل وأظهر إيمانه في وقت كان لا بد وأن يظهر ويقف أمام طاغية ومدع للربوبية وتسانده حاشية سوء ، ثم يقوم الرجل بتذكير قومه ويخوفهم من بأس الله ويدعوهم إلى الله وإلى الإيمان به - سبحانه وتعالى - ولكنهم يدعونهم إلى الكفر والإشراك بالله .. ويدعوهم إلى الجنة والمغفرة ويدعونهم إلى النار وبئس المصير.. ويتكرر هذا الموقف في كل عصر وأمام كل طاغية.

٢ - قال -صلى الله عليه وسلم- :

"«لتفتحن القسطنطينية ، فلنعم الأمير ذلك الأمير ونعم الجيش ذلك الجيش»" .

سمع الطفل محمد الفاتح هذا الحديث وكبر في ذهنه حتى إذا بلغ السبعة عشر ربيعاً حان الوقت الذي يحقق فيه حلم المسلمين وتحقيق حديث رسول الله، وكان.. لقد حاول المسلمون - منذ القرن الأول- فتح القسطنطينية مرات عديدة، وقد قتل الصحابي أبو أيوب الأنصاري تحت أسوارها. وأُخِر فتحها لهذا السلطان العثماني الذي كان نعم الأمير وجيشه نعم الجيش .

٣- طفل الحجارة في فلسطين المحتلة :

ذلك العملاق هو رجل بحق ؛ لأنه الوحيد الذي عرف الطريق لتحرير المسرى والأرض من النهر إلى البحر ، ذلك الطفل الذي تربى على مائدة القرآن الكريم داخل المساجد الذي يريد أن يحقق ما جاء في سورة الإسراء من وعد بالنصر .. «حتى يقول الحجر والشجر : يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله».

ذلكم الطفل هو أفضل من الذين يجاهدون بالخطب في هيئة الأمم والمحافل التي تضيع الوقت وتدعي أنها سوف تقاتل "إسرائيل" بالسلام!! ويجاهدون من خلف المكاتب المكيفة ، إن جميع المنظمات لم تصل إلى مرتبة ذلكم العملاق الرجل الطفل الحجارة.

٤ - ((مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)) [الأحزاب: ٢٣] .

الشهيد سيد قطب (رحمه الله) :

عندما طلب من الشهيد سيد قطب أن يؤيد الطاغية العبد الخاسر قال : "إن السبابة التي أشهد بها في كل صلاة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لا يمكن أن تكتب سطرأً فيه ذل أو عبارة فيها استجداء" ، وعندما سيق - رحمه الله - إلى حبل المشنقة يوم ٢٩ من أغسطس عام ١٩٦٦م كان من المعتاد أن يحضر شيخ ليلقن الذي ينفذ فيه حكم الإعدام الشهادتين ، فقال له سيد قطب - رحمه الله - : "إنني لم أقف هذا الموقف إلا من أجل لا إله إلا الله محمد رسول الله" ! .. فهناك أناس يأكلون الخبز بلا إله إلا الله وآخرون يقدمون رؤوسهم إلى المشانق من أجل لا إله إلا الله!!

٥ - الشعب الأفغاني :

هذا الشعب البطل الذي لم يرضَ بالاحتلال الروسي لأرضه ، ووقف وحيداً في حلبة الصراع مع أول أو ثاني دولة على مستوى العالم !! وكان له يد طولى في إذلال الشيوعية وإرغامها ، بينما نجد أن بعض المشايخ الرسميين المعتمدين يذهب إلى كابل ويصافح وزيرة الشباب ويهديها مصحفاً ، ولا يستحيي وهو (شيخ معمم) من هذا الموقف المتخاذل ، بينما الأمر الطبيعي أن يذهب إلى الخنادق ليشد من أزر الرجال المقاتلين .

البيان الأدبي

الأدب والثقافة علاقة مصيرية

د.مصطفى بكري السيد

تجاوز هذه الدراسة الجدل القديم الحديث حول مصدر الفن ، لتتناول جانباً آخر من الموضوع وهو محاولة الكشف عن دور المقروء والجهد الثقافي في النسيج الأدبي ، فنحن عندما نستعرض الأدب والأدباء الذين نقشت أسماؤهم في ذاكرة البشرية ، وأنعشت أعمالهم مشاعر الجمال في

النفوس ، حتى غدت إبداعاتهم معالم بارزة في تاريخ الفكر الإنساني ، عندما نغفل ذلك يلفت نظرنا أمران :

الأول: المُكثِّ والتُّؤدّة في إنضاج العمل ، وهناك أمثلة أدبية : الإلياذة كُتبت في ثلاثين سنة ، والقاص الفرنسي فلوبيير ربما استغرق أكثر من أسبوع في كتابة فقرة من قصته (مدام بوفاري) ١٨٥٧ م (١) ، ويعلن جارتيا ماركيز - قاص أمريكا الجنوبية الأول - أنه كتب قصته "مائة عام من العزلة" في ستة عشر عاماً ، ومدرسة التصويريين الشعرية تقول صراحة إن: "التركيز هو جوهر الشعر" (٢) .. ويرى الشاعر الإنجليزي المعاصر تيفن سبندر "أن كل شيء في الشعر جهد، وقد يستمر الجهد في النظم يوماً أو أسابيع أو سنين" (٣) وأكد بعضهم على "أن الإنشاء الأدبي يتطلب من الدقة والتحري ما تتطلبه الرياضيات نفسها من تفكير منطقي ودقة وهندسة" (٤) . الثاني: الارتواء من معين الثقافة ومختلف ميادين المعرفة لتوظيف ذلك كله في خدمة الصورة الشعرية ، والمعمار الفني ورسم معالم الشخصية ، وذلك حتى لا تكون النصوص (وكل الأعمال الفنية نصوص) ثماراً موسمية ؛ "لأن النص قائم على التجديدية بحكم مقروئيته ، وقائم على التعددية بحكم خصوصية عطائته تبعاً لكل حال يتعرض لها في مجهر القراءة ، فالنص - من حيث هو ذو قابلية للعطاء المتجدد المتعدد - يتحقق له ذلك بتعدد تعرضه للقراءة" (٥) لأن هذا النص كما يقول (بارت) : "لا يحظى بالخلود لأنه يفرض على القراء العديدين معنى واحداً فيه ، وإنما هو يخلد ويستمر لأنه يقترح على القارئ الواحد معاني عدة في متجدد اللحظات" (٦) ولم يكن (مارك توين) بعيداً عن هذا الفهم عندما قال إنه يقرأ (دون كيشوت) في كل سنة مرة .. رائعة سرفانتس . وهكذا يكون النص مرآة تجلوها القراءات المتعددة ، (فهاملت شكسبير) أفرز مكتبة أدبية كاملة (٧) . "في (هاملت) مواضيع كثيرة التقابل بين القوة والأخلاق ، بحث التفاوت بين النظرية والممارسة، وغاية الحياة، فيها مأساة الحب، والدراما العائلية فيها كل ما تشاء بما في ذلك التحليل النفسي العميق، والقصة الدامية والمبارزة والمذبحة الشاملة، للمرء أن يختار وفق إرادته ولكن عليه أن يعرف كيف يختار ولماذا" (٨) ، وهكذا فإن روايات (شكسبير) ترفض أن تصبح أبداً قديمة، يمكن تلخيص هاملت في عدد من الأشكال: كسجل تاريخي، كرواية بوليسية ، أو كدراما فلسفية. إن هذا المعرض الشكسبيرى حدا بطالبة أمريكية أن تتشكك بهذه القدرة على رسم كل هذه الصور وإبداع هذه المسرحيات، قرأت شكسبير بعناية فساورها الشك بأن هذا الإنتاج الضخم الساحر لا يتأتى لشخص وأن النقاد ربما كانوا ضحية وهم كبير في قبول هذا الإبداع من شخص واحد فشدت رحلها إلى بريطانيا وضحت بشبابها لتثبت عبثاً وهمية شخصية شكسبير ! . وفي العدة العربية نجد (أبا الطيب المتنبي) غب الموهبة الشعرية ثمرة ناضجة لقراءة الأدب الجاهلي والأموي والعباسي وما انتهى إلى يديه من الفلسفة اليونانية ، ثم أليس كتاب (الوساطة) للجرجاني بحثاً في عروق وعمق هذه المقروءات (المتنبية) .

"إن كتاب الوساطة خير نموذج عملي لدراسة التناص الذي هو حدوث علاقة تفاعلية بين نص سابق ونص حاضر لإنتاج نص لاحق" (٩) والحقيقة أن كل شعر لابد أن يذكر بشعر آخر فهذه خصوصية اللغة الشعرية وامتيازها .

كيف تآتى لشعر أبي الطيب أن يفجر في الأرض الأدبية ينابيع النقد لولا الأسئلة التي تستدعيها قراءته والقراءة التي تغذي أسئلته ؟

إن المتنبي "حين يعبر عن رؤياه فإنما يفصح عن إحساس شامل بالفجيعة أو الفرح ، أو البطولة ولا يعود وترأ مفرداً ، بل يندرج في نبرته أنين عام هو أنين البشر كلهم ونشوة شاملة هي نشوتهم

جميعاً ، ولا تنمو رؤيا الشاعر بمعنى آخر ، إلا عبر ارتباط حميم بالآخرين ولا تتجسد بشكل مؤثر إلا حين يصبح صوته ، رغم فرديته وسريته صوتاً إنسانياً ونشيداً شاملاً لمجد شعب ومكابته" (١٠) .

لقد وجد المتنبى في "أصوات الآخرين تأكيداً لصوته من جهة ، وتأكيداً لوحدة التجربة الإنسانية من جهة أخرى ، وأنه يدل بذلك على التفاعل الأكيد بين أجزاء التاريخ الروحي والفكري للإنسان" (١١) .

وهكذا نجد "أن قدامى الشعراء أو المترسمين خطاهم كانوا مثقفين ولعل أجمل ما نفعل به من الشعر القديم هو شعر أمثال هؤلاء" (١٢) ؛ "لأن القصيدة - في النهاية - ليست إلا محصلة جهد الشاعر ، وتجسيداً جمالياً حسيماً لمسلكه الثقافي والذوقي والنفسي في لحظة حياتية ما" (١٣) . "وإذا كان ابن خلدون يحكم باستحالة وجود شاعر لا يكون قد حفظ شعراً ثم نسيه ، فإننا نحكم باستحالة وجود مبدع يعتب أيضاً نصاً أدبياً دون سابق تعامل معمق مكثف مع النصوص الأدبية في مجال معين أو في عدة مجالات ؛ لأن المخزون من النصوص المقروءة من قبل هو الذي كثيراً ما يتحكم في صفة النص المرقوم" (١٤) .

ويقول الدكتور محمد جابر عصفور :

"الأصل الذي يتوصل الشاعر به إلى استثارة المعاني الشعرية واستنباط تركيباتها هو : التملؤ من العلم بأوصاف الأشياء وما يتعلق بها من أوصاف غيرها ، وذلك يجعل من الشعر ممتعاً ومعلماً" (١٥) ، وهكذا يصبح للفكر الأدبي دوره المميز في حياة الأمة؛ حتى يغدو عنصراً من عناصر البناء الثقافي العام في هذا المجتمع.

وكلما كثر المحفوظ الشعري كثرت المواد بين يدي الشاعر ورحب المجال أمامه في إعادة السبك فيكون كمن اغترف من وادٍ قد مدته سيول جارفة من شعاب مختلفة كما يقول ابن طباطبا (١٦) . وليست القراءة غذاء الشعر فحسب بل هي البنية المعنوية للنثر ، قال خالد بن عبد الله القسري : "حفظني أبي ألف خطبة ثم قال لي : تناسها ، فتناسيتها ، فلم أرد بعد ذلك شيئاً من الكلام إلا سهل عليّ" .

ولقد توقف العقاد في حديثه عن المتنبى ليلفت النظر إلى أهمية الفكر والثقافة للشعراء فيقول: "وكيف يتأتى أن تعطل وظيفة الفكر في نفس إنسان كبير القلب، متيقظ الخاطر مكتظ الجوانح بالإحساس كالشاعر العظيم؟ ، إنما المفهوم المعهود أن شعراء الأمم الفحول كانوا من طلائع النهضة الفكرية ؛ فمكانهم في تاريخ تقدم المعارف والآراء لا يعفّيه ولا يغض منه مكانهم في تواريخ الأدب والفنون" (١٧) .

والترسانة الثقافية التي يستند إليها الأديب باتت أمراً ملحوظاً ؛ يقول إليوت : "إن ما يجب على الشعراء أن يعرفوه هو أن يكتبوا أقل ما يمكن" .

ولقد ذكر أن جوستاف فلوبير (١٨٢١-١٨٨٠) هو الذي قرأ ألفي كتاب من المكتبة الوطنية بباريس ؛ لكي يدرس البيئة الاجتماعية والجغرافية لأحد أعماله الروائية! (١٨).

أرأيتم كيف يخدم الأديب نصوصه ويستشعر المسؤولية تجاه أدبه وقرائه ، لعل في ذلك بعثاً لهمم الناشئة من شعرائنا وكتابنا حتى تأتي أعمالهم ناضجة تحمل للقراء ما يؤملون فيها من أدب نضيج ، وألا تكون علاقتهم بالتراث العربي العظيم ما درسوه في كتب المحفوظات كما يقول أحد النقاد.

وأخاطب - بشكل أخص - الأديب المسلم كي يجعل من إبداعه إضافة حقيقية لتجد قراءها ، وألا تعتمد على النيات الطيبة والمشاعر الجميلة فقط لأنه إذا كان الشعر ترجماناً مباشراً عن الذات فإن الفكر هو الإطار الموضوعي الذي يضم هذا الشعور ، والشاعر كلما ازداد نضجاً ازدادت قدرته على الخروج من إطار مشاعره الذاتية إلى الإطار الموضوعي .

عبقرية الشاعر تكمن كلها في إبداعه اللغوي ، أما الحساسية المفرطة فلا تكفي لتكوين أي شاعر "وليس هناك ما هو أكثر سوءاً من أن يظن الإنسان أنه يمارس صناعة التفكير في الواقع ، وهو إنما يشغل نفسه ، بطائفة من الأماني والمشاعر لا أكثر" (١٩).

"صحيح أن العمل الأدبي صناعة لغوية ، لكنه ليس صناعة بسيطة بل هو صناعة مركبة من عناصر كثيرة توجد أصولها في اللغة والفكر وفي التراث القديم وفي التراث الحديث" (٢٠).

إن العالم يتلهف إلى الرؤية الإسلامية من قلم صناع وشعر يتسلل إلى مسارب النفس ليطلق العقل المحتج في إसार المادية لينتسم أنسام العقيدة المتكاملة المتوازنة.

والكلمة التي نقلت حبر اليهود عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - إلى بحر الإيمان هي عينها التي انتزعت بعض كبار الملحنين من برائن الملل والنحل إلى شاطئ الأمان.

إن هذه الكلمة مدعوة اليوم لكي تؤدي دورها أن تنزيه بالقراءة ، وتتأثت بالثقافة وتتدجج بالمعرفة لتفجر ينباع الأمل في سهوب الإملاق الروحي والمحل الفكري والقحط الوجداني.

إن هذه الكلمة "لا بد لها كي تكون فاعلة ، وفي سياقها السليم من أن ترتبط بنظرة إلى العصر ومستجداته من جهة ، وإلى التراث وكوامنه التعبيرية القادرة على الاستمرار من جهة أخرى" (٢١).

وإذا كان الأدباء كذلك "كانت أقوالهم كالرياح التي تفتح المصاريع المغلقة على الرؤى والتجارب والبطولات" (٢٢). والأديب المسلم ما لم يمتلك ناصية القول في المكان والزمان الذي يعيش فيه ، وما لم ينتج أدبه وإبداعه المؤصل جمالياً وثقافياً ؛ محكوم عليه في النهاية بالخروج من ساحة الفكر وميدان الحياة ، لأن العقم الثقافي هو جسر الاعتزال الحياتي ، ومنذ فقد المسلمون خطابهم العميق بدأت عمليات تدميرهم.

هل لي أن أنكر أن عمر - رضي الله عنه - كان لا يكاد يمر عليه موقف دون أن يستشهد بنص شعري ، وأن الصديقة بنت الصديق - رضي الله عنهما - كانت تحفظ للبيد بن ربيعة ألف بيت من الشعر.

إن القراءة بعد الموهبة تحدد للأديب المسلم النوع الأدبي الذي يجد نفسه من خلاله أكثر عطاءً وفراة ، وتعصمه من الاتكاء على المعنى فقط "وبذلك يكون المعول ليس على المحتوى الخلقى فحسب ، بل على الكيفية التي يقدم بها هذا المحتوى للمتلقي" (٢٣) وبذلك تتحقق العلاقة التفاعلية بين الباث والمتلقي لا بالاستناد إلى القيم الأخلاقية وحدها ولا بالاعتماد على الشكلانية بذاتها .

وختاماً : نريد لأدبنا أن يغترف من حافظة يقظة مثقفة ، وأن تتفجر تجربته الغنية من غنى حسي ووجداني وفكري ، وألا تكون إبداعاته سطوياً مكشوفاً على متحف الذاكرة المترهل الكسول . أرجو أن يكون هذا الإسهام قد وفق لأن يضيف دليلاً آخر يتأكد من خلاله أن الأدب ليس ترفاً فكرياً ولا صوتاً معزولاً عن مسيرة الأمة ، "ونحن أحوج الناس أن ندرس ما يمكن أن يسمى جماليات اللغة المثقفة" (٢٤) نفع ذلك كي لا يسقط أدبنا في مقبرة اليومية ، وكلي لا يستمد أصالته من المناسبة التي استدعته بل من الثقافة التي أبدعته ؛ "لأن كل عمل فني عظيم يضيف إلى الوجه الإنساني روعة وغنى" (٢٥) .

الهوامش :

- ١- الفن والحلم والفعل ، جبرا إبراهيم جبرا . دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد .
- ٢ - في النقد الحديث ، د.نصرت عبد الرحمن ، ١٩٨ ، مكتبة الأقصى ، عمان .
- ٣-النقد الأدبي الحديث ، د.محمد غنيمي هلال ، ٣٤٩ .
- ٤ - في مناهج الدراسات الأدبية ، حسين الواد ، ٦٧ ،
- ٥ - في نظرية النص الأدبي ، د.عبد الملك مرتاض ، ٥ .
- ٦ - المصدر السابق .
- ٧ - شكسبير معاصرنا : إيان كوت ترجمة جبرا إبراهيم جبرا .
- ٨ - المصدر السابق .
- ٩ - في نظرية النص الأدبي ، ٦ ،
- ١٠- مجلة الآداب ، عدد ١٠-١٢ ، ٣٩ ، ٤٨ .
- ١١- الشعر العربي المعاصر ، د.عز الدين إسماعيل .
- ١٢- المصدر السابق .
- ١٣- مجلة الآداب ، ٣٤ .
- ١٤- في نظرية النص الأدبي ، ١٧ .
- ١٥ - محمد جابر عصفور : مفهوم الشعر في التراث ، ١٨٦ ،
- ١٦ - عيار الشعر ، ٣٥ ،
- ١٧ - مجلة المجلة المصرية ، ص ٤١ ، عدد ٣١ ، ذو الحجة عام ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م .
- ١٨ - في الرومانسية والواقعية ، سيد حامد النساج ، ٧٩ .
- ١٩ - نظرية البنائية في النقد الأدبي ، د.صلاح فضل .
- ٢٠ - أحمد عبد المعطي حجازي من مقال في "الأهرام" ٣٠/٨/١٩٨٩م .
- ٢١ - مجلة الآداب ، ٤٨ .
- ٢٢ - الفن والحلم والفعل ، ٢٥٨ .
- ٢٣ - محمد جابر عصفور : مفهوم الشعر في التراث ، ١٩٠ .
- ٢٤ - اللغة بين البلاغة والأسلوب : د.مصطفى ناصف .
- ٢٥ - هذه العبارة لألبير كامي .

الفصاحة العلمية

للأمم في تنافسها بالمناقب والمزايا ألوان من المفاخرة بلغاتها يضيق بها نطاق البحث في بضعة سطور . فمنها التي تفخر بوضوح عباراتها وعذوبة جرسها (١) . ومنها التي تفخر بوفرة كلماتها واتساع ثروتها من ألفاظ الأسماء والأوصاف والأفعال ، ومنها التي تفخر بثرائها الأدبي وذخيرتها الفنية ، ومنها التي يزعم أنها أنعمهم هم الناطقون المبينون ومن عداهم متبربرون ، لا يبينون عن أنفسهم ولا يحسنون فهم البيان من الآخرين .

ومعظم هذه المفخر دعوى لا دليل عليها ، أو دعوى لها أدلتها التي تتشابه وتتقابل ، ولا ترجح فيها الكفة مرة حتى تقابلها الكفة الأخرى برجحان مثله ، وحجتها الكبرى "أنانية" قومية تشبه "أنانية" الفرد في حبه لنفسه وإيثاره لصفاته بغير حاجة إلى دليل، أو مع الفتاعة بأيسر دليل. لكن الفصاحة العربية في دعوى أهلها مفخرة لا تشبه هذه المفخر في جملتها ؛ لأن دليلها العلمي حاضر لا يتعسر العلم به والتثبت منه على ناطق بلسان من الألسنة ، ولا حاجة له في هذا الدليل إلى غير النطق وحسن الاستماع.

إن اللفظ الفصيح هو اللفظ الصريح الذي لا لبس فيه ولا اختلاط في أدواته ، وهذا هو "اللفظ العربي" بدليله العلمي الذي لا تعتمد دعواه على "أنانية" قومية ولا على نزعة عاطفية ، تقابلها نزعات مثلها عند غير العرب من الناطقين بلغات الحضارة. فلا لبس بين مخارج الحروف في اللغة العربية، ولا إهمال لمخرج منها ، ولا حاجة فيه إلى تكرار النطق من مخرج واحد، تتوارد منه الحروف التي تتميز بغير التثقيب أو التخفيف . وجميع المخارج الصوتية في اللسان العربي مستعملة متميزة بأصواتها ، ولو لم يكن بينها غير فرق يسير في حركة الأجهزة الصوتية.

والفصاحة هي امتناع اللبس كما تقدم ، وهذه هي الخاصة النطقية التي تحققت في اللغة العربية لمخارج الأصوات كما تحققت للحروف. فليس في اللغة العربية حرف يلتبس بين مخرجين ، وليس في النطق العربي مخرج ينطبق فيه حرفان ، ليس في اللغة العربية حرف يستخدم مخرجين كحرف (بسي) في اللغة اليونانية وهو مختلط من الباء الثقيلة والسين ، وليس فيها حرف يستخدم مخرجين كحرف (تشي) في تلك اللغة وهو خليط من التاء والشين، وليس فيها حرف يعبر عنه بحرفين كالذال أو الثاء اللذين يكتبان مما يقابل عندنا التاء والهاء (th) ويتغير النطق بهما في مختلف الكلمات.

ولا تزدحم أصوات الحروف في اللغة العربية على مخرج واحد كما تزدحم الفاء الثقيلة والباء والباء الثقيلة (p.b.v.f.) مع ترك مخارج الحلق مهملة ، وهي تتسع من أقصى الحلق إلى أدناه لسبعة حروف هي الهمزة والهاء والألف والعين والحاء والغين والحاء ، وهي مميزة في النطق والسمع بغير التباس ولا ازدواج في الأداء.

واللسان العربي المبين يتجنب اللبس في الحركات الأصلية كما يتجنب اللبس في الحروف الساكنة ، فلا لبس بين الفتح والضم والكسر والسكون ، وإذا وقعت الإمالة بين حركتين لم تكن وجوباً قاطعاً تثبته الحروف ، بل كان قصاراه أنه نمط من أنماط النطق يشبه العادات الخاصة عند بعض الأفراد أو بعض الجماعات في أداء الحركة وإشباعها أو قصرها ، كيفما كان رسم الحرف في الكلام المكتوب ، وكيفما كان جوهره المميز في الكلام المسموع.

فإذا قال قائل إن فصاحة النطق مزية نادرة تمتاز بها اللغة العربية فليست هي دعوى من دعوى الفخر والأنانية ، ولكنها حقيقة يقررها "علم وظائف الأعضاء" ؛ لأن جهاز النطق في الإنسان وظيفة معروفة ، ولا خفاء بالفرق بين تقسيماته التي تستوفي الأداء وتميز الحروف والمخارج وبين تقسيماته التي تعطل بعض الأداء ويعرض فيها اللبس والتلفيق لما تؤديه. فإن الحكم في ذلك كالحكم على كل أداة ناطقة أو عازفة من أدوات الأنعام والأصوات.

وبقي أن نعرف كيف انفردت اللغة العربية بهذه المزية النادرة ؟ هل هي مزية من مزايا المصادفة لا نعرف لها علة طبيعية ؟ أو هي نتيجة من نتائج التطور الطبيعي . أو نتائج الاختيار بين الأفصح من اللهجات وبين اللهجات التي دونها في الفصاحة على ألسنة المتكلمين بلغة واحدة ؟ .

العقاد - اللغة الشاعرة

الهوامش :

١ - الصوت أو خفيّه .

الصيف ضيعت اللبن

شعر : مروان كُجك

(يروى عن العرب أن امرأة كانت متزوجة من رجل موسر فكرهته فطلقها ، وكان الوقت صيفاً ، فتزوجت من آخر كان فقيراً مملقاً ، فلما أصابتها الفاقة ، ولذعتها الحاجة ذهبت إلى مطلقها تطلب منه لبناً : عطاءً ومعونة ، فأبى أن يستجيب لرجائها ، وقال لها : "الصيف ضيعت اللبن" فذهب قوله هذا مثلاً).

لا تبك سلماً عشت فيه بلا محن أنت الذي اخترت الخديعة والغبن (١)
 أنت الذي مزقته حتى غدا جرحاً عسير البرء نزافاً زمين (٢)
 وبعثت من خلل الرماد شوائطاً هوجاء حاقدة تموج بها الفتن (٣)
 وعلوت ، عدواناً ، مقام فحولة ونسيت أنك للصغائر مرتهن
 ولغم زعمت صلاح أمرك كاذباً حتى استويت على الأباطح والفنن (٤)
 وأذعت للدنيا بأنك مصلح أسلمت روحك للطهارة ، والبندن
 وغدوت مفتاح الشرور وذلهماوملاذ كل رذيلة ترجو الأمن (٥)
 الأرض أرضك فاستضف فيها الذي يُمناه قاتلة ، ويسراه الكفن
 واحمل لنا من كل حدب خسة واكتب على جنباتها : عاش الوطن
 حتى أتى ليل يموج سفاهة فطرحت منزرك الدني المدهن (٦)
 ونسيت ما قد كنت تزعم من سجايا السر والإيمان والقول الحسن
 ورجعت للجر الخبيث تعب من سم الأفاعي ما تهيج به الإحن (٧)
 حتى غدوت لكل طاغية مضى رمز الكياسة والسياسة والفطن
 إن شئت تخريب البلاد فذاك إص لاح لها ، ورعاية فوق المنن
 أو شئت قتل قبيلة برجالها ونسائها فافعل فإنك مؤتمن
 أو شئت أن نغدو يهوداً أو عبيداً أو بقايا عالقات في الدمن (٨)
 فافعل فأنت مخير وكفاك أن ترقى على أجسادنا فناً بفن
 واقتل ذوي الأحساب واتبع ظلهم لا يفلتن أحد ولو عظم الثمن
 فلعل مولوداً يحن لقومه يوماً فيلحن مثل ما موسى لحن (٩)
 فتثور أودية ، وتلتهب الذرى وتهيج أرواح فتكفأ كل دن (١٠)
 يا أيها الحقد الذي أضحى له جسد يخور بأرنا ، وبها عدن (١١)
 مهلاً فلست بخالد أبداً ولا أنت المسود بالمحبة والعلن
 وغداً إذا انجلت الحقيقة وانتهى عهد الخيانة والسفالة والعفن
 لا ترجون منا شفاعة شافع أبداً : فإن الصيف ضيعت اللبن

الهوامش :

- ١ - الغين هنا : الخديعة في الرأي.
- ٢ - البرء : الشفاء . نزافاً : دائم النزف ، زمن : مستمر (مزمّن).
- ٣ - الخلل : الفراغ بين الشئئين.
- ٤ - الأباطح : جمع أبطح وهو مسيل الماء فيه حصى صغيرة. ويقال له أيضاً : البطحاء . القنن : جمع قنة وهي أعلى الجبل.
- ٥ - الأمن بفتح الميم : الأمن.
- ٦ - المدهن : المدهون قصداً للتعمية.
- ٧ - عب : شرب ، مرة وراء مرة . الإحن : جمع إحنة وهي الحقد.
- ٨ - الدمن : جمع دمنة وهي المزبلة.
- ٩ - لحن له : قال له قولاً يفهمه المخاطب به ويخفى على غيره.
- ١٠ - أرواح : جمع ريح ، تكفاً : ثقل ، تكب . الدن : جمع دنان وهو الجرة أو الخابية. وهنا المقصود بها الخوابي التي تُعْتَق فيها الخمرة.
- ١١ - عدن بالمكان : أقام فيه.

شؤون العالم الإسلامي @ لا تغيير في تونس

عبد الحميد إبراهيم

أمل الشعب التونسي عند سقوط بو رقيبة أن تتغير أحواله ، وينتقل من حالة الشلل التي أصيب بها أواخر أيام الدكتاتور السابق - إلى حالة يثق فيها بنفسه وقدراته ، ويتمتع بحريته حيث يصبح قادراً على التفكير والإنتاج، وأن الوعود كانت خصبة في شتى الاتجاهات . ما الذي كان يشكو منه الشعب التونسي ، وكان يكبله عن تحقيق ما يطمح إليه ؟ إنه الوضع النفسي والاقتصادي. أما الوضع النفسي فيتمثل في عبادة الذات التي كانت سمة بارزة في سلوك بو رقيبة، وإضافته على نفسه من الصفات والقدرات والمواهب ما لا يطلق إلا على الآلهة. وقد حاول الحاكم السابق خلال ثلاثين سنة أن يفرض على الشعب التونسي هذا الأسلوب من عبادة الشخصية ، ويعمل على أن يجعل كل شيء يدور حوله ، وكان يعتقد أنه يعرف مصلحة التونسيين أكثر منهم أنفسهم. وشيئاً فشيئاً أنبتت حوله حاشية تجسد فيها نفاق وفساد لا يوازيه إلا نقص في الكفاية ، وعدم اكترات بحاجات الشعب الحقيقية.

وأما الوضع الاقتصادي فكشأن الدول التي تسود فيها نظريات حكم الفرد ، أو نظريات الحزب الواحد ، فلا بد أن تواجه ضعفاً وركوداً اقتصادياً سببه قتل الطموح والمبادرة في النفوس ، وعدم الأمان والاستقرار الذي هو شرط أساسي للازدهار الاقتصادي ، وحكم بو رقيبة كان مزيجاً من تسلط الفرد وتسلط الحزب الواحد بل إنه جمع أسوأ ما في هذين الأسلوبين، وهكذا عندما بدت بوادر التملل من هذا الجو الذي وجد الشعب التونسي نفسه فيه لم يكن من علاج لهذه البوادر غير القبضة الحديدية. ولكن هذه السياسة ليست علاجاً بل هي مسكن. وهكذا كان التغيير الذي حدث في

تونس في لحظة حاسمة ، عندما وصل الطاغية إلى أقصى درجة من الطغيان ، فتقدم بن علي وقطف ثمرة الحالة التي أوصل بو رقيبة تونس إليها ، ولو لم يفعل هو لقطفها غيره .

إن الشعب التونسي شعب مسلم عريق في إسلامه ، يشكل الإسلام في كيانه نسيجاً ليس من السهل تجاهله وتجاوزه ، وعلى الرغم من التخريب الفكري والثقافي الذي أحدثه بو رقيبة خلال فترة حكمه الطويلة إلا أنه لم يزد على أن جعل الشعب التونسي يطوي جوانحه على كراهية مستكنة لجرأة هذا الدعي ووقاحته على الإسلام الذي هو عقيدة الشعب التونسي ، لم يفهم بو رقيبة كأمثاله من المتسلطين بغير حق - أنه عندما كان يقف الساعات الطوال أمام مكبرات الصوت والمنابر الإذاعية المحروسة يحقر أحكام الإسلام وينتقي ما شاء من تعاليمه وشعائره كالصلاة والصوم ، ونظرته إلى المرأة ، ويجعل من ذلك مجالاً لسخريته وتهجمه وهرائه الذي يجبر الشعب على سماعه وحفظه ، لم يفهم أنه كان يهين عقيدة الشعب الذي يحكمه ، والذي يهين عقيدة الشعب لن يحوز على ثقته ولا محبته ، لقد كان حفنة من المتملقين المنافقين المنتفعين يحيطون به ويزينون له فعله القبيح هذا ويرضون فيه حب العظمة والنفوذ الذي اشتهر به ، بالإضافة إلى الأرقام التي لا يهمها الإسلام من قريب أو من بعيد داخل تونس وخارجها التي كانت تكيل له المدح على وقاحته التي يسمونها شجاعة ، وجرأته على الباطل التي يسمونها ألمعية ، ولكن البلاد لا تجني من أهواء الطغاة والمنافقين والمنتفعين الانتهازيين سوى ما جنت تونس من سياسة ذلك المسمى بو رقيبة .

إن الرئيس التونسي الجديد أعلم الناس بالذي أوصل الحالة في تونس لما وصلت إليه من تأزم ، وهو عليم أيضاً أن الباحثين عن الشرعية في الشعوب التي عقيدتها الإسلام - لا بد لهم من احترام هذه العقيدة ، لذلك فقد قدر الشعب التونسي كل التقدير الخطوات التي بدت مخالفة للمنهج السابق ، فبينما كانت دعاية النظام في العهد البائد لا تألو جهداً أن تحقر كل مظاهر التمسك الجماعي بالإسلام ، وارتباط تونس بعمقها العربي الإسلامي ، وترابطها ربطاً متعسفاً بأوربا وبالفكر الغربي ، باسم التطور والمدنية ، وتنتعت أصحاب الاتجاه الإسلامي بأقبح النعوت أثراً عند الجمهور من مثل : الظالميين ، المتطرفين ، الذين يريدون إعادة تونس إلى ظلامية القرون الوسطى... بينما كان ذلك وأكثر منه هو أسلوب الدعاية .. فرح الشعب التونسي من عودة كلمات تقدير الإسلام والهوية العربية الإسلامية للشعب التونسي ، والنية للنظر في تحسين المناهج التربوية بما يعيد الاعتبار للعروبة والإسلام في المجتمع التونسي .

ورافق هذا التقدير الكلامي خطوات فعلية ، فقد توقفت ملاحقة الإسلاميين واعتقالهم ، وأفرج على مراحل عن الأعداد الكبيرة ممن اعتقل منهم على عهد الحاكم السابق ، وقد نظر الشعب التونسي بأجمعه إلى هذه الخطوات نظرة التقدير ، واعتبرها تغييراً ذا بال في مجال الحقوق الطبيعية التي كانت مهانة ، حتى الناس الذين ظلمهم النظام السابق وألصق بهم شتى الافتراءات لم ييخلوا بإعطاء هذه الخطوات ما تستحقه من اعتبار ، وأحاطوها بالآمال العريضة التي بدت في بعض الأحيان ومنذ وقت مبكر مغرقة في التفاؤل . إلى هنا أصبح في تونس نظام جديد وشعب ذو أمل جديد ، نظام يتخذ من التغيير الذي حمل قمة الإنجاز ، ويثمن هذه الخطوات تثمناً مسرفاً ويطالب بالثناء والاعتراف بالجميل ، ولكن الشعب اعترف بهذا الجميل وقام بواجب الشكر ، وهو ينتظر ممن قاموا بتلك المبادرة فتحركت الرمم في أجداتها ، وانتعشت الآمال التي كادت تموت - أن يزيلوا القيود الفعلية التي تبعث الخوف والرهبة ، وتجعل الشعب دائماً خائفاً يترقب ! ولكن إلى الآن لم يحدث شيء .

بل إن الشعب التونسي أصبح يحس أن ما حصل عندهم يشبه ما حصل في ألمانيا الشرقية على إثر سقوط (إريك هونيكير) حيث تسلل جهاز المخابرات السيئ الذكر (ستازي) ليخلفه ، ولكن مع فرق بسيط وهو أن النظام الجديد في تونس نجح في التسلل حيث فشل (ستازي) وبدأ التونسيون يكتشفون أن الخدمات الشفوية للإسلام لها هدف آخر ، وأن ما حصل من إفراجات هو أقصى ما يمكن تقديمه من أمور فعلية.

ويبدو غريباً جداً لمن هم في داخل تونس ومن هم خارجها تصرف الحكومة تجاه بعض الحالات ، فبينما تعترف هذه الحكومة للشيوخيين وباقي اليساريين والعلمانيين بشرعية العمل السياسي ، وتعطي هؤلاء من الاهتمام أكبر من حجمهم في صحافتها وإعلامها ذي البعد الواحد ، تراها تضن بأي اعتراف قانوني لكل ذي توجه يشم منه اسم الإسلام ولو مجرد شم !

هذا مع أن قادة الاتجاه الإسلامي لم يتهاونوا في اتخاذ كل ما يمكن أن تطلبه حكومة منصفة من مواقف ، فلم يقصروا في المدح والثناء على مواقفها ، ولا أعلنوا برنامجاً سيئ إلى أحد ، حتى الشيوعيين والعلمانيين الذين لا يوفرون من ألفاظ الهجوم على الإسلام شيئاً ، وهم خارج السلطة ، ولا يوفرون من مواقف الإثارة والكبت والعسف والأذى للمسلمين موقفاً وهم داخل السلطة.. حتى هؤلاء اعترف لهم قادة الاتجاه الإسلامي في تونس بحرية العمل وأعطوهم أكثر ما يؤملون. وأعطوا من الموائيق على الإيمان بالتعددية، والديمقراطية ، والخصوصية التونسية ، ما لم يعط غيرهم. والخلاصة أن قادة الاتجاه الإسلامي يتمتعون بكل الشروط التي يستحقون عليها التكرم بالاعتراف بهم ، فهم تونسيون ، وهم ذوو وزن معتبر ، وهم يفضلون العلنية ، وهم متطورون ، وهم غير ناكرين للجميل ، وهم راضون بالاستقسام (بأزلام) التعددية ، ويسبحون بحمد الديمقراطية ! ما علتهم إذن !؟

يتحدثون بالإسلام !؟ هل الحديث عن الإسلام أصبح عاراً !؟ كيف تعطى الشرعية لمن يجعل أسس برنامجه تقوم على هدم الإسلام بل هدم الأديان كلها (كالشيوعيين) وتعطى لمن يقول : لا مكان لظلمية العصور الوسطى في حياتنا المعاصرة (يقصدون أحكام الإسلام والفكر الإسلامي) يحاربون الفكر الإسلامي (كالعلمانيين واللاذنيين وعبيد فرنسا) ؟ وتحجب هذه الشرعية عن من ليس له ذنب إلا أن يقول : أنا مسلم !؟ إذا كانت الدولة لا تريد أن يزوج باسم الإسلام في مجال العمل السياسي ، ولذلك لا تحب أن يشار إلى الإسلام في التسميات ، لا مانع ، ها نحن نتقدم بحزب يفي اسمه بهذا الشرط اسمه (النهضة) وهذا برنامجه ، ونطلب من الدولة التي نعترف بها سلفاً (حيث نطلب منها لامن غيرها) الترخيص.

بعد خمسة أشهر من تقديم طلب الترخيص مع برنامج الحزب المفصل يعاد الطلب مرفوضاً دون ذكر الأسباب ، سوى أن الوقت غير مناسب ! وطلب منهم أن يتقدموا ثانية فيما بعد. وحينما استأنفوا الطلب مرة أخرى في ١٣/١٢/١٩٨٩ رفضت وزارة الداخلية تسلم الطلب من حيث المبدأ: ألا يتناقض هذا مع الميثاق الوطني الذي وضعه النظام ، وأقرته جميع الاتجاهات السياسية في البلاد وأهم بنود هذا الميثاق :

- احترام حرية التعبير.
- احترام حرية الاختلاف في وجهات النظر.
- إدانة الإرهاب والعنف.
- العمل على رفع المستوى (الروحي) واللغوي للشعب .
- الحفاظ على الهوية التاريخية للشعب التونسي.

هل جماعة النهضة لا يقرون بهذه المبادئ وأكثر منها مما تريده الدولة ؟ ما المشكلة إذن؟ يصعب على المرء أن يفصل في هذه القضية ، ولكن يبدو أن الشعب التونسي بدأ يكتشف أن مشكلة النظام مع جماعة الاتجاه الإسلامي هي أنه لا يريد أن يخضع نفسه للولاء للإسلام عقيدة الأمة ، ولكنه يصعب عليه أن يعترف بهذه الحقيقة ، ويدور حولها بأسلوب المداورة ، وخط الموضوع الحقيقي بموضوعات أخرى جانبية ، وهو أسلوب الجدل العلماني المستورد من الفكر الأوربي والذي لم يعد يقنع أحداً ، وكنموذج على هذه المداورة المموجة نقدم ما أورده جريدة "القبس الدولي" ١٩٩٠/٦/٥ - نقلاً عن وكالة أنباء الشرق الأوسط المصرية :

" أكد المنجي بو سنيّة وزير الدولة للتربية في تونس أنه : لن يتأسس حزب ديني في مجتمع يدين بالإسلام وانتقد الوزير التونسي بشدة (!!) في اجتماع حزبي لأعضاء التجمع الدستوري (!) الديمقراطي (!) الحاكم في مدينة الوردية بالضاحية الجنوبية للعاصمة التونسية - من وصفهم (بقوى الظلام ودعاة الفتنة) وقال : إن ظاهرة التطرف الديني تقوم على المغالطة والتضليل وابتزاز المشاعر الدينية والتحريض على الفتنة لتحقيق مآرب سياسية معروفة (!) تحت غطاء الدين . وتقوم قيادات التجمع الديمقراطي الحاكم بنشاط مكثف وعقد ندوات ومؤتمرات شعبية في مختلف أنحاء تونس لمواجهة التيار الإسلامي" (١).

هناك أسئلة كثيرة يمكن أن تطرح تعليقاً على مثل هذا النموذج المتكرر من النشاطات المكثفة والندوات والمؤتمرات الشعبية في مختلف أنحاء البلاد :

* لماذا يسمح بتأسيس أحزاب ذات نظريات كفرية في مجتمع يدين بالإسلام ولا يسمح بتأسيس حزب ديني ؟!

* ثم هل أصحاب الاتجاه الإسلامي يدعون إلى إقامة كنيسة وتنصيب بابا ، أم يتقدمون ببرامج اجتماعية أساسها الإسلام الذي ليس هو مسجد يفتح للصلاة فقط ويغلق بعد انتهائها ؟!

* ماذا تعني هذا العبارة : "قوى الظلام ودعاة الفتنة" غير وصم الناس وتشويههم دون دليل صحيح ؟ * مادمت تقول بحرية الرأي في مجتمع متحضر ؛ لماذا تتهم من يخالفك الرأي بهذه التهم وتسبب هذا السب المر ؟ هل هذا سلوك قوم متحضرين ؟!

* لماذا استيراد الحجة الواهية من البلاد التي قد يكون فيها أقليات غير مسلمة ، والتي تقول : لا نسمح بإقامة حزب ديني (أي إسلامي) حرصاً على مشاعر مواطنينا الآخرين ؟ في حين أن هذه الحجة - إن صدقت في تلك البلاد - لا تصدق في بلد كتونس أغلبيته الساحقة مسلمون ؟ . * ألا تقدم للناس الذين تخاطبهم معنى محدداً للتطرف الديني ، حتى يلمسوا (المغالطة والتضليل

وابتزاز

المشاعر الدينية والتحريض...) وسائر هذه التهم التي تكال جزافاً ! والتي لو نوقشت بإنصاف من قبل قوم يحترمون العقل والمنطق والتحضر ، وأخيراً : الإسلام ؛ لانهارت واحدة بعد أخرى ؟ ، صحيح :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وعادى محبيه بقول عدايته وصدق ما يعتاده من توهم وأصبح في ليل من الشكّ مظلم

إن السلطة التونسية تتهم قطاعاً عريضاً من الشعب التونسي لهم حقهم المشروع أن يعبروا عن عقيدة لم يستوردوها استيراداً من أوربا ، ولا أميركا ؛ بل هي نابتة نباتاً طبيعياً في ترابهم ، وسقيت من دمائهم ودماء آبائهم وأجدادهم ، ولا تفتأ تتهمهم باحتكار الإسلام، مع أنهم لم يدعوا ذلك ، ولا يمكنهم

لو ادعوه ، في الوقت الذي تتلبس هذه السلطة - كالكثير من السلطات - باحتكار كل شيء : السلطة والنطق باسم الأحياء والأموات ، وادعاء الشرعية والقانونية ، والوصاية على الأرض والسماء ! . ومن أغرب الأمور أن يظل النظام التونسي مشدود الأعصاب مهياً لتحميل أصحاب الاتجاه الإسلامي كل ما يحصل في المجتمع التونسي من سلبيات وكوارث ، حتى ما لا يقع تحت يد البشر ، وكشاهد على ذلك فقد اجتاحت الجنوب التونسي سيول مدمرة هدمت حوالي ٤٠ ألف بيت ، وخربت أكثر من ألف كيلو متر من الطرق ، بالإضافة إلى مزارع ومحاصيل كثيرة ، ولم يصل أحد من قبل الحكومة إلى هذه المنطقة المنكوبة إلا بعد ثلاثة أيام وكأنها تقع في قارة أخرى ، بل ولم يتحرك النظام إلا بعد المظاهرات التي اندلعت تصف الحكومة بالإهمال.. هنا فقط استيقظت الحكومة من سباتها ، ولكن لتصب جام غضبها على المتطرفين : "الذين يحاولون استغلال الظروف العصيبة!" ، لكن هل فعلت الحكومة شيئاً عملياً للتخفيف عن المنكوبين؟! بعد عشرة أسابيع كانت لا تزال أعداد كبيرة تنتظر المساعدة والمأوى !

إن الإنسان في كثير من بقاع العالم الإسلامي يربى على أن يستسلم لجميع أنواع الكوارث؛ ما كان منها من صنع البشر وما ليس كذلك، ويقابلها بخضوع وتسليم حتى يكون مؤمناً مسلماً ، وإلا فهو متطرف متعصب مضلل محرض على الفتنة ، بل قد يتهم بالكفر ! ألم يحاول التنكر للإيمان بالقضاء والقدر؟!

ومع أن النظام في خلاف مع شرائح متعددة من الشعب : مع العمال ، والطلبة ، والمعلمين ، والمهندسين.. لكنه يحاول التنصل من نتائج هذه الخلافات والمشاكل بإلقاء المسؤولية على أصحاب الاتجاه الإسلامي ، معتقداً أنه إذا حصر النار في هذه الزاوية فإن المشاكل تحل ، مع أن تجارب كثيرة مماثلة حدثت في أماكن أخرى من العالم لكنها لم تحل المشاكل بل زادت وعتقتها. إن تونس تنزلق مرة ثانية لتجد نفسها على عتبة مرحلة شبيهة بالمرحلة التي غادرها فيها بورقيبة ، وتبدو هذه السياسة التحريضية التي يشير بها المخططون للسلطة السياسية الحالية كأنها محاولة لإيجاد المسوغات التي تبطش بسببها بمن تعتقد أن البطش بهم يخلي لها جو العمل كما تشاء ، بعيداً عن الاحتجاج والمساءلة ، وهؤلاء المخططون تغرهم أمثلة حصلت وتحصل هنا وهناك ، وتوحي لهم أنه لا حل إلا بذلك ، مع أنه لا أحوال هذه الأمثلة ، ولا الحال في تونس يمكن أن تتحسن بهذه الطريقة غير المتحضرة ، التي أثبت التاريخ الحديث عقمها وتخلفها ، بل وخطورتها ، أعني طريقة وضع "معارضة معينة" تحت ظروف الكبت والمطاردة ، وجعلها مشدودة دائماً ، ليقوم شخص غير مسؤول بعمل ما يعطي الأنظمة مسوغات البطش والتكيل.

لقد اختار قادة النهضة مختلف الطرق المسماة حضارية في التعامل ، على الرغم من الأجواء المحيطة بهم ، وهم يتحملون بصبر وإباء كل ظروف الإثارة والحرمان من الحقوق الأساسية ، وعلى الرغم من عدم السماح لهم بقنوات "قانونية" تسهل لهم ضبط أنفسهم وعناصرهم ؛ فإنهم يبدون متمسكين بأعلى درجات الانضباط في ظروف يصعب فيها ذلك ، ولكن تلوح في الأجواء علائم (لفبركة) حادثة عنف تكون بمثابة الذريعة ليتكرر في تونس ما فعله عبد الناصر من قبل . ولكن هل سيظل التاريخ يعيد نفسه؟!

الهوامش :

١- الأقواس وعلامات التعجب ليست في نص الجريدة ، بل هي منا . (التحرير) .

الإسماعيلية في أفغانستان خطر يتنامى

أحمد موفق زيدان

انتعش نفوذ فرقة الإسماعيلية الباطنية في أفغانستان خلال الحرب الأفغانية الروسية الأخيرة ، الأمر الذي مكنهم من اللعب على عدة حبال في سبيل تحقيق مصالحهم حتى ولو تضاربت مع المصلحة الأفغانية فضلاً عن المصلحة الإسلامية.

وقد ساعدهم على هذا التنامي الموقع الذي يحتلونه قرب العاصمة كابل والذي يعد منفذاً لعدد من الولايات الأفغانية الشمالية وقربه من روسيا ، كما يتحكم في بعض الطرق المؤدية للعاصمة. ويؤكد القادمون من جبهاتهم بأن وجودهم يزداد وبشكل مطرد.

الوجود السكاني :

ينتشر الوجود الإسماعيلي في أفغانستان في ثلاثة مواقع وهي : ولاية "بغلان" التي تعتبر معقلهم الذي فرضوا وجودهم ونفوذهم من خلاله و"لسان واخان" الذي يصفه الاستراتيجيون بأنه لسان القوة الواقع في ولاية بدخشان المحاذية لثلاث دول وهي روسيا والصين وباكستان ، والمنطقة الثالثة لهم هي مديرية "شمالي" في ولاية بروان القريبة من العاصمة كابل . وقد قام العديد من ساكني لسان واخان الإسماعيلية بالهجرة أثناء الغزو الروسي ولم يدافعوا عن بلادهم حيث لجؤوا إلى باكستان ولكن لعدم ملاءمة جو باكستان الحار لطبيعتهم التي اعتادت على الجو البارد جداً تكفلت الحكومة التركية بنقلهم إلى بلادها بحجة أصولهم التركية.

دولة "بغلان" المزعومة :

أثناء الغزو الروسي لأفغانستان حاول السوفييت كسب تأييد ومساندة عدد من القوميات أو الطوائف لصفهم أو تحييدها على الأقل ومن الطوائف التي اكتسبوها لصفهم طائفة الإسماعيلية ، خاصة وأنها توجد في ولاية بغلان القريبة من كابل ، ويقود هذه الفرقة في بغلان سيد منصور الذي يعتبر نفسه مندوباً لمرشداهم الآخاني ابن عم صدر الدين منسق عام الأمم المتحدة للدعم الإغاثي للمهاجرين الأفغان والذي عُين في أعقاب الانسحاب الروسي ، وتعتبر مدينة (كيان) عاصمة دولتهم هذه.

وكان سيد منصور - أمير دولتهم المزعومة - قد سُجن مع ثلاثة من إخوانه في عام ١٩٧٦ ، وأرسل ابنه سيد جعفر - الذي كان يبلغ من العمر (١١) عاماً - إلى إنجلترا للدراسة ويعيش مع أقربائه هناك ، وبعد سنة ونصف ترك سيد جعفر بريطانيا وتوجه لأمريكا للدراسة في مدرسة (نادري) ويصفه أحد أساتذته بأنه كان سريعاً في كسب الأصدقاء وانضم حينذاك إلى عصابة الدراجات النارية ! ، وفي أوائل عام ١٩٨١ تم إطلاق سراح سيد منصور من السجن ويتوقع البعض أن يكون إطلاقه ضمن صفقة سياسية مبرمة بينه وبين السوفييت وذلك بأن يقف إلى جانبهم إذا ما أطلق سراحه وقد أثبتت الأيام هذا عندما دعمهم وساندتهم ضد قوات المجاهدين ، ولدى عودة سيد جعفر من دراسته في أمريكا في تلك الفترة عينه والده قائداً عسكرياً لميليشيا الإسماعيلية في الولاية والتي يصل عددها إلى (١٢) ألف مسلح.

شخصية سيد جعفر :

في فيلم فيديو قام بتصويره صحفي بريطاني يقول سيد جعفر عن نفسه بأنه قضى أياماً ممتعة في أمريكا حيث كان في عصابة الدراجات النارية كما كان يحب الضرب على الطبول ويضيف فيقول : إذا عملت هذا وسط منطقتي الآن فيعدوني مجنوناً وأحمقاً ، ويقول في هذه المقابلة التي سجلت في

الفيديو : إن الحرب هذه كانت لمصلحتنا ١٠٠% ؛ لأن أي حكومة مستقبلية لا بد لها من التعامل معنا كقوة مستقلة.

ويتمتع سيد جعفر بشعبية قوية بين جماعته ؛ حيث يستقبله الرجال والنساء اللواتي يلبسن لباساً أحمر معيناً وتنحُر الأغانم والأبقار احتفاءً بمقدمه.

القوة والنفوذ :

يبلغ عدد ميليشياته - كما ذكرنا - (١٢) ألف عسكري مسلح وذكر بنفسه هذا الرقم في مقابلاته السابقة ويؤكد المجاهدون القادمون من منطقته أن عدد مليشياته قريب من هذه النسبة ويشبهه بعض المجاهدين بتنامي قوته ونفوذه بالقائد أحمد شاه مسعود إلا أنهم يفرقون بين الاثنين في أن الأخير يتمدد أفقياً ورأسياً ويتجذر في الأرض إلا أن سيد جعفر يتمدد أفقياً. ويتحكم في جزء من طريق سالانج الاستراتيجي الذي يعتبر شريان الحياة لنظام كابل الذي يتلقى من خلاله الإمدادات العسكرية الروسية وفي منتصف شهر يوليو الفائت اتهم القائد الميداني عبد الحق - التابع للشيخ يونس خالص - الإسماعيلية بتولي حماية طريق سالانج من هجمات المجاهدين ويقومون بجباية الضرائب من أهالي منطقتهم ليقوموا بتوزيعها على فقرائهم وتقوية جيشهم الذي يملك دبابات وأسلحة ثقيلة وذخائر كبيرة. وظروف منطقتهم الآمنة من الحرب والقتال أهلتهم للزراعة والعمل بخلاف المناطق الأفغانية الأخرى التي تعيش حالة الحرب ولديهم مستشفى يديره الغربيون.

العلاقة مع السوفييت والحكومة العميلة :

علاقتهم مع السوفييت والحكومة العميلة أوضح من أن تُذكر ؛ حيث اعترف سيد منصور بنفسه في مقابلة صحفية بشريط الفيديو المذكور : "لدينا صداقة مع روسيا وحكومة كابل وكذلك لنا صداقة مع المجاهدين ولا يقدر أحد على إزعاجنا" ! .

كما أظهر شريط الفيديو صور لقاءات سيد جعفر حاكم الولاية والقائد العسكري لمليشيا الإسماعيلية مع المستشارين الروس وهم يتصافحون ويتفكهون وتحدثوا جميعاً حول تأمين طريق سالانج من هجمات المجاهدين أثناء انسحاب السوفييت من أفغانستان ، حيث كان الاجتماع قبل الانسحاب ، وتعهد سيد جعفر بحماية طريق سالانج وقامت مجلة (الحياة) الإنجليزية - الصادرة في أمريكا - بنشر صور اللقاءات وتوزيع الابتسامات.

كما تلقوا مساعدات وإمدادات عسكرية من الروس وقد اعترف سيد منصور بجزء من هذا في مقابلاته السابقة. ويقول سيد منصور : "نحن لا نقاتل المجاهدين ولا حكومة كابل ، والأفغان كلهم يتقون بنا" .

وبعد انسحاب القوات الروسية تمتنت علاقاته مع حكومة كابل.

العلاقة مع المجاهدين :

على الرغم من ادعاء سيد منصور بعلاقاته الجيدة مع المجاهدين إلا أن الحوادث التي جرت بين الطرفين تكذب هذا الادعاء فقد أظهر شريط الفيديو الوثائقي احتجاز الإسماعيلية لأفراد عديدين من الحزب الإسلامي ، والجمعية الإسلامية وأصبح لهم عدة سنوات في السجن الأرضي الذي يديره سيد جعفر. ويقول الأخير : "إن هذه الجبال لنا - مشيراً إلى جبال حول المنطقة التي كان يتحدث منها - وكذلك جبال الهندكوش لنا وأي رجل يأتي لمقاومتنا سنقاومه وبعنف وقوة" .

وأثناء انسحاب الروس قام عدد من الإسماعيلية في بدخشان بمهاجمة المهاجرين التابعين للجمعية الإسلامية وقتلوا منهم أكثر من ستين شخصاً، كما قام المجاهدون بعد هذه الحادثة بقتل ٨٠

شخصاً وجرح ٦٠ آخرين من مليشيا النظام في شمال قندوز عندما كان سيد جعفر يجمع أعداداً كبيرة من مساعديه ومؤيديه في نادي سبينزار ليشكل مليشيا لحماية نظام كابل ولكن لم يتأذ جعفر

ويتحاشى قادة المجاهدين الاصطدام معهم ؛ لأن مشاكلهم التي يواجهونها كثيرة. فيريدون حصر العدو في الخارج فقط ولكن عدد الخارجين يستعد ويعد لمرحلة ما بعد سقوط النظام.

العلاقة مع الأغاخاني :

يعتبر سيد جعفر أن علاقتهم مع الأغاخاني علاقة دينية فهو مندوب له ، ويقول في لقائه الصحفي السابق : "إذا طالب الأغاخاني بموتنا جميعاً فنحن مستعدون لقتل أنفسنا!" .

وتقول أخبار غير مؤكدة بأن بعض قادة المجاهدين طالبوا الأغاخاني - معبود الإسماعيلية التاسع والأربعين - بشجب التدخل الروسي ولكنه رفض ذلك وهذا يفسر موافقة روسيا على عمه صدر الدين الأغاخاني عندما عين منسق الأمم المتحدة لدعم المجاهدين الأفغان. وتتهم مصادر المجاهدين صدر الدين بمحاباته لطائفة دون أخرى خاصة بعد أن ركز في مؤتمره الصحفي الذي عقده في بيشاور - على دعم المناطق المركزية الأفغانية والمعروف أن الشيعة والإسماعيلية يتواجدون فيها.

دعم دولي :

لاحظ المراقبون أنه عقب انسحاب القوات الروسية من بدخشان نشطت الدبلوماسية البريطانية والأمريكية في دعم ومساندة هذه المنطقة ؛ حيث طار السفير البريطاني والأسترالي إلى جترال الباكستانية المحاذية لإقليم بدخشان والتي تضم عدداً كبيراً من إسماعيلية باكستان واقترح السفيران إصلاح طريق جترال - بدخشان ويتوقع أن يتم الفراغ منه قريباً وبذلك تستطيع السيارة قطع الطريق من جترال إلى بدخشان في محاولة لدعم الإسماعيلية في بدخشان وربط إسماعيلية أفغانستان مع إسماعيلية باكستان ، كما لاحظوا أن القنصل الأمريكي في بيشاور يتردد إلى منطقة جترال والإشراف على تعمیر وإصلاح الطريق وسيوصل الطريق شاهي ساديم في جترال مع توب خانة في بدخشان ؛ حيث سيخترق أودية صغيرة جداً ، وقد قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم دعم لتحسين هذا الطريق وإصلاحه والذي سيبلغ طوله ٢٠ كم لتسهيل حركة السيارات الكبيرة أيضاً في نقل الأسلحة.

إسماعيلية بدخشان تستسلم لمسعود :

ليس هناك وجود مستقل للإسماعيلية الموجودين في بدخشان ولكنهم إما منضون تحت لواء مليشيا نظام كابل خاصة في منطقتي كران منجان أو تحت لواء الأحزاب الشيوعية الموالية للصين والضعيفة مثل (سنم ملى) أي الاضطهاد الوطني، و(شعلة حاويد) أي الشعلة الأبدية.

ويعتبر شاه عبد الجبار مرشدهم الروحي في المنطقة وهو يوالي الحكومة وقد وقعت معارك ضارية بين جماعة أحمد شاه مسعود ومليشيا الإسماعيلية المدعومة من حكومة كابل في منطقة كران منجان عام ١٩٨٨ وفي زيباك عام ١٩٨٩ لمساندتهم نظام كابل وقد أسفر الهجوم عن استسلامهم للقائد أحمد شاه مسعود.

دولة الحزام الأمني :

يشير بعض المراقبين إلى وجود نية لدى عدة أطراف عالمية ومحلية في تهيئة الأجواء لتشكيل أو تأسيس دولة إسماعيلية تجمع إسماعيلية باكستان في مناطق جترال وهنزة وجليميشا وبلتستان مع الإسماعيلية الموجودين في ولاية بدخشان خاصة بعد الطريق الذي أعيد ترميمه في محاولة

لربط الطرفين ببعضهما . حيث إمدادات إغاثية وغذائية لإسماعيلية باكستان من إيران ودولة باطنية أخرى ، كما أسفرت لقاءات المسؤولين الإيرانيين مع المسؤولين الصينيين إلى سماح الأخيرين لنشاط شيعي في منطقة تركستان الشرقية (سينك يانج) المحاذية لهذه الدولة المزعومة ، وبدأ عدد من الشباب الصيني السني القاطن في هذه المنطقة بالتوجه للدراسة في طهران تمهيداً لتشيّعه . ويقوم الآغاخاني بزيارات ميدانية لمنطقة هنزة وجليجيت الباكستانية وغيرها ، ويوزع أتباعه المساعدات والإعانات على الشعب هناك حتى على أهل السنة - ويا للأسف ! - فقد انجر بعضهم وراء دعاياتهم الإنسانية وأحسنوا الظن به.

ولكن أصدر عدد من علماء السنة في باكستان - مثل (ولي حسن تونكي) فقيه باكستان - فتوى بعدم جواز أخذ المساعدة من الآغاخاني . وأغلب سكان هذه المنطقة شيعة وليس إسماعيلية ولكن علاقاتهم قوية مع بعضهم وهناك منظمة باسم (مؤسسة الآغاخاني) ويرأس المؤسسة في بلشتان شخص باسم (مطهر علي شاه) من أصول سنية وراتبه كبير ، حتى أنهم يعطون السائق العادي التابع لمؤسستهم (٥) آلاف روبية باكستانية وهو راتب ضخم في باكستان ، أما المشرف العام على المؤسسة فهو (سلطان شعيب) من السنة أيضاً ويبلغ راتبه (٦٠) ألف روبية باكستانية ولديه ثلاث طائرات هليكوبتر تحت تصرفه.

ونشاط الإسماعيلية في هذه المناطق يتمحور على الاقتصاد ولا يعتنون بالدعوة إلى مذهبهم حتى لا يفاجئوا أهل السنة. وكانت وزارة الزراعة الباكستانية في عام ١٩٨٨ وقبله - تقوم بنفسها بتوزيع الأسمدة على المزارعين أما في ١٩٨٩ وما بعدها فقد قام الآغاخاني بشراء الأسمدة ومنعها عن المزارعين حتى يجعلهم يعتمدون عليه وليس على الحكومة .

ويرى المراقبون في هذا خطراً ماحقاً ؛ إذ إنه تمهيد لتأسيس دولة إسماعيلية وقد تنبه لهذا رئيس كشمير الحرة (السر دار عبد القيوم) عندما صرح - قبل أكثر من سنة - بأن مناطق جليجيت بلتستان وغيرها في حالة تحوّل إلى دولة للإسماعيلية.

ورئيس كشمير الحرة هو مَنْ يعنيه هذا المخطط ؛ إذ إن هذه الدولة ستكون عازلة بين باكستان والهند وستكون مثل دولة الحزام الأمني في جنوب لبنان لمنع المقاتلين من التوجه لفلسطين.

وبعد :

فإن أهل السنة هم الذين ضحوا بكل ما يملكون في الجهاد الأفغاني ، وهم الذين جادوا بالنفس والنفيس ، وكان خصومهم من الطوائف الأخرى يتربصون ويعدون العدة لما بعد النصر ليقطفوا الثمرة ، فهل يتحد أهل السنة ويفوتون الفرصة على هذه الطوائف التي تتقن التسلق على أكتاف الآخرين ، وحتى لا يكونوا هم الخاسر الوحيد؟!!

الجزائر في الصحافة العربية

الجزائر في هذه الأيام هي محط الأنظار ، وحديث الصحافة - الصحافة الغربية والصحافة العربية - وكلّ ينظر من زاويته التي يريدتها ، وقد نقلنا في العدد الماضي ما تقوله الصحافة الغربية ، وأما الصحافة العربية التي تحمل أخلاطاً من القومية والعلمانية فهي تتكلم عن الجزائر بعين الإشفاق ظاهرياً ، بينما هي تحرض وتلمز من التيار الإسلامي وتخاف على هذا البلد من (الأصوليين).

(فالوطن العربي) في عددها (١٦٣) بتاريخ ١٩٩٠/٤/٢٧ تعنون لمقالها : "الجزائر في الطريق نحو المجهول" ، "الجيش سيتدخل لإحباط الدكتاتورية باسم الدين!!" إلى آخر هذا التهويل والتحريض ، والعجيب أن هؤلاء القوميين يقولون : نحن نؤمن بالديمقراطية والحرية ، ويعتذرون عن الأخطاء السابقة (أخطاء مصر عبد الناصر لضرب الإسلام) فإذا أتاحت الحرية للشعب واختار الإسلام يقولون : هذه دكتاتورية ، وفي أسلوب لا يليق تحاول المجلة الغمز من التيار الإسلامي بأنه استغل الجفاف في الجزائر وعلم من الأرصاد الجوية موعد سقوط الأمطار فذهب ليصلي صلاة الاستسقاء !! [الوطن العربي ١٩٩٠/٤/٧] وقد بلغ الغضب منتهاه عند رئيس التحرير عندما كتب في العدد (١٦٥) بتاريخ ١٩٩٠/٥/١١ : "من الأردن إلى مصر إلى الجزائر ، والسلف الصالح برئ من هذه السلفية" .

ولا ندري ماذا فعل له مسلمو الجزائر عندما يصورهم بأنهم "يخربون أساسات التنمية العربية" ؟ ، هل الشباب المسلم - الذي يحمل شتى الاختصاصات العلمية ومستعد لبذل علمه في سبيل بناء بلاده - هو الذي يخرب ؟ أم الدكتاتورية التي يتباكي عليها رئيس التحرير (دكتاتورية عبد الناصر وبو مدين) ، وهذا الأخير هو الذي خرب الزراعة في الجزائر بحجة التصنيع ، فأصبحت الجزائر الواسعة الكبيرة لا يستطيع الإنسان أن يزرع فيها وينتج لقمة عيشه . وبالأسلوب نفسه تتكلم مجلة (اليوم السابع) فتكتب بتاريخ ١٩٩٠/٤/٣٠ : "السلطة تتراجع أمام الأصوليين" وتنقل رأي جبهة التحرير بأن الأصوليين استغلوا المساجد لأغراض حزبية وأن ممارساتهم (المنافية للقانون) قد كثرت !! وطبعاً بمنطقهم العلماني يريدون من المساجد أن تكون كالكنائس لا يُبحث فيها أمر المسلمين ، ونلاحظ أنه في كلتا المجلتين يشم رائحة استعداد السلطة على الإسلاميين وتحذيرها من ازدياد حجمهم .

وإذا كان هذا رأي الصحف التي تحقد على التيار الإسلامي فإن المسلمين ينظرون بعين الحب والإشفاق على الجزائر من مكر أعداء الإسلام ، ولمنع المد الإسلامي أو إحباطه بشكل من الأشكال ، ويرون أن تفويت الفرصة على أمثال هؤلاء هو باتحاد الكلمة ووضوح الهدف ودراسة كل خطوة دراسة جادة شرعية ، تعلم الواقع وتعلم تحرك من لا يحبون الإسلام ، وإنها فرصة كي يثبت الإسلاميون أنهم على وعي بواقعهم ، وأنهم على مستوى الأحداث .

أخبار حول العالم

١٥٩ طفلاً فلسطينياً يسقطون بنيران

الجيش الإسرائيلي

حمل تقرير نشرته منظمة سويدية اسمها "انقذوا الأطفال" السلطات العسكرية الإسرائيلية مسؤولية الاعتداء على الأطفال بشكل متكرر ومنتظم في الأراضي المحتلة ، وذكر التقرير الذي يعد الأكثر تفصيلاً لأحوال الأطفال الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة أن (١٥٩) طفلاً فلسطينياً كانوا قد قُتلوا في العامين الأولين من عمر الانتفاضة ، إما عن طريق الإصابة بطلقات نارية أو الضرب ، أو الغازات المسيلة للدموع. وتشكل نسبة الذين سقطوا بنيران الأسلحة ٦٧% من مجموع القتلى.

(ديلي تلغراف ١٩٩٠/٥/١٧م)

موسكو : تفشي مرض الإيدز

من المقرر أن تعقد الحكومة السوفياتية مؤتمراً في نهاية شهر أيار (مايو) الجاري ، يشترك فيه كل من جهاز الشرطة ومسؤولين في وزارة الصحة ، وذلك لمناقشة الطرق الكفيلة بكبح تفشي مرض الإيدز . ومن بين الحلول المطروحة في جدول الأعمال هو احتمال إضفاء الصفة القانونية على البغاء الذي بات ظاهرة منتشرة في المناطق التي يكثر تردد الأجانب عليها . وكان وزير الصحة السوفياتي قد بيّن في نهاية شهر نيسان (أبريل) أن هناك ارتفاعاً حاداً في عدد الحاملين لجرثومة مرض الإيدز في الاتحاد السوفياتي ، وأوضح الوزير أن عدد هؤلاء قد يرتفع مع نهاية هذا القرن ليصل إلى (١,٥) مليون .
(تاييمز ١٢/٥/١٩٩٠م)

التعذيب مازال قاعدة في السجون التركية

ذكر تقرير لمنظمة العفو الدولية - نُشر في ٩/٥/١٩٩٠م - أن المعتقلين في السجون التركية مازالوا يتعرضون للتعذيب وافتقار الحقوق الشرعية الأساسية ، ويقول التقرير : إن من المعتقد أن حوالي (٥٠٠٠) معتقل سياسي بما في ذلك مئات المعتقلين بسبب الأفكار التي يحملونها ، ويشتمل هؤلاء على أصحاب اتجاهات إسلامية، وصحفيين، وأكراد بالإضافة إلى نقابيين . وذكر التقرير أن التعذيب أمر روتيني حتى بالنسبة للذين يمضون أياماً قليلة في الاعتقال، وتقول منظمة العفو إن لديها معلومات تشير إلى امتداد أعمال التعذيب لتشمل الأطفال، وأن أعداداً غير معلومة من هؤلاء قد لاقوا حتفهم نتيجة لهذه الإجراءات . كما جاء في التقرير أن تهديدات بالتصفية الجسدية تصدر بحق الذين يرفضون العمل كمخبرين في جهاز المخابرات .
(جارديان ٩/٥/١٩٩٠م)

تركيا تبيع المياه لإسرائيل

ذكرت مصادر في تل أبيب أن "إسرائيل" قد تشرع قريباً - وبشكل تجريبي - باستيراد المياه من تركيا ، وكانت "إسرائيل" قد فرضت قيوداً على استهلاك المياه لاسيما للأغراض الزراعية والصناعية ، وذلك لمواجهة العجز المتنامي في كميات المياه الذي قد يهدد فرص التوصل إلى تسوية في الشرق الأوسط .
ومن جهتها لم تبد حكومة تركيا - وهي دولة مسلمة (!) - ممانعة في تصدير المياه إلى "إسرائيل" أو جيرانها العرب الذين كانوا قد تلقوا عروضاً مشابهة ، ومما يذكر أن "إسرائيل" تعاني عجزاً في كميات المياه يصل إلى حد (٤٠٠) مليون متر مكعب ، وقد يكون لهذا الوضع أثر على استعداد "إسرائيل" للتنازل عن الضفة الغربية التي تحتوي على نسبة ٩٥% من مصادر المياه المتبقية .
(ديلي تلغراف : ١٧/٥/١٩٩٠م)

خبر وتعليق

الصومال تسمح بدخول (القات)

"رفع الحظر المفروض منذ سبع سنين على "القات" الذي تأتي وارداته من كينيا وأثيوبيا ، وكانت الصومال قد فرضت حظراً على القات في عام ١٩٨٣ ؛ لأنه يتسبب في إصابة الرجال بالكسل ويكلف الدولة (٨٠) مليون دولار في العام لاستيراده" .
(الشرق الأوسط ٢٨/٤/١٩٩٠)

وبتاريخ ١٩٩٠/٢/٥ نشرت "الشرق الأوسط" أيضاً الخبر التالي: "كرر الرئيس الصومالي أمس دعوته للمعارضة لإجراء مفاوضات بمناسبة يوم العمال وأعرّب عن أسفه للظروف المعيشية السيئة للعمال الصوماليين ، وقال رئيس الصومال : إن الحرب الأهلية والعجز في ميزان التجارة الخارجية والتهرب من الضرائب كلها أدت إلى تردي الوضع الاقتصادي" .

تعليق : إن تصرفات أمثال هذه الدول من الأشياء المضحكة المبكية ، فرغم العجز والفقير ، والاعتراف بفساد الوضع الاقتصادي ، وطبعاً (المخفي أعظم) والكل يعرف أحوال الناس في الصومال. ورغم هذا يسمح باستيراد (القات) مما يكلف الشعب الصومالي (٨٠) مليون دولار، لماذا؟ والشعب بحاجة إلى (القوت) وليس إلى (القات) وهل مثل هذه الشعوب بحاجة إلى زيادة كسل أم تحتاج إلى تشجيع الزراعة وإنتاج المواد الغذائية مثل القمح، والذرة ، أو إنتاج المواد الزراعية الصناعية .. هل هذا تخطيط أم شيء مدروس؟! ولماذا لا يعترف رئيس الصومال بأن نظام حكمه هو سبب المشكلة كلها ؛ فيترك الصومال لأهلها المسلمين ؛ فيريح ويستريح ، بدلاً من اتهام الشعب بالتهرب من الضرائب . إن أحوال الشعوب الإسلامية وحكوماتها شيء عجيب . إنهم يجمعون بين السيئات والمتناقضات كما جاء في الحديث من ذم «العائل المستكبر» .

"يعقد في الثالث والعشرين من الشهر الحالي (مايو) في واشنطن مؤتمر لبحث مبادرة شاملة تهدف إلى مساعدة الديمقراطيات الناشئة في دول أوروبا الشرقية اقتصادياً من قبل الدول الصناعية الغربية على أن يشارك في المبادرة القطاع الخاص في هذه الدول ، وقد وصفت هذه المبادرة بأنها تشبه مشروع مارشال الذي أعقب الحرب العالمية الثانية وقد أكد على الدور الكبير للقطاع الخاص في هذه المبادرة" .

(الشرق الأوسط ١١/٥/١٩٩٠)

تعليق :

هكذا يبادرون لسد الخلل في دول أوربية لرفع مستوى الدخل الفردي فيها ، وتؤهل لتكوين أوروبا الموحدة ولتصبح كتلة كبيرة في مواجهة أي تكتل آخر ، فمتى يبادر الأغنياء عندما على مستوى الدول أو على مستوى الشركات والأفراد لإقامة المشاريع الاقتصادية عند الشعوب الإسلامية الفقيرة ، لمساعدتهم على العيش الكريم ومن خلال العمل والكسب لا من خلال المساعدة والصدقة؟! .

واجبنا تجاه المنهج الإسلامي

عثمان ناصر السعيد

١ - الانكباب على دراسته ومعرفته حق المعرفة ، لا أن نأخذ مجرد وراثة دون وعي.

- ٢ - التسليم بما جاء في مصدره : كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم- ، دون أدنى شك في النفس أو تردد أو مشاورة للنفس التي ينازعها ضعفها وشهوتها والشياطين من جميع أطرافها ؛ قال - تعالى - ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ)) [الأحزاب: ٣٦] .
- ٣ - بذل الجهد في نشره بين الناس ؛ إذ إنه ليس خاصاً بنا وحدنا ؛ قال - تعالى - : ((إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ)) [ص: ٨٧] وكما أنك سعدت به وتلذذت بالعيش تحت كنفه فمن الواجب عليك تأدية زكاته بتبليغه لتلك البشرية المتعطشة له والتي تتخبط في جاهليتها .
- ٤ - الذود عنه أكثر من الذود عن حظ نفسك وأهلك وشرفك ومالك ، قال صلى الله عليه وسلم- : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه» .
- إن سفينة هذا المنهج سائرة ، قائدها محمد صلى الله عليه وسلم- متحدية الأمواج بحفظ من الله - تبارك وتعالى - شعارها قول الله - تعالى - : ((وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)) [آل عمران: ٨٥] .

المظلوم لا يبني ولا ينتج

عبد القادر حامد

قد يعجب بعض الذين لا تسرهم الحال التي تعيشها الأمة الإسلامية وغيرها من الشعوب الفقيرة .. يعجبون من الكسل والشلل الذي يبدو أنه يلف هذه الشعوب ، كيف أنها لا تفكر في معالي الأمور ، وتغرق في المعيشة يوماً يوماً ، ولا يظهر عليها قلق مما يجري حولها من تكتلات اقتصادية، ولا يستثيرها هذا التباري المسعور الذي يحس ويلمس عند الشعوب المتقدمة .

وينسى هؤلاء الذين تؤلمهم هذه الحال الخاملة ؛ وهذه الحياة التي تبدو مجردة من الأهداف- ما خلا الحاجات الدنيا التي تحفظ النوع والنفوس - ينسون حقيقة وبدئية بسيطة واضحة للعيان أن الذي يجرد الإنسان فرداً أو جماعة - من الأهداف العليا هو الظلم .

فالظلم هو الذي يسحق بشرية البشر ، ويقصر تفكيرهم على الحد الأدنى من العيش ، ويجعلهم يرضون بالدون من الحياة ، ويلفنتهم لفتاً عن مجرد التفكير في التعمير والتثمير ، وهو الذي يقنعهم بالقول :

لُدُوا للموت وابنوا للخراب !

وهذا الداء الوبيل داء الظلم هو الوباء الذي ضرب المسلمين وأقام بينهم لا يريم (١) ، ومع أن شعوباً كثيرة استطاعت أن تضع حداً له ، وتعيش في منجاة من نكايته ، وتحد من انتشاره ؛ لكننا - مع الأسف - نتقلب في ناره ، ونعاني ما نعاني من شدة ثباته في أرضنا واستقراره .

هذه الجموع العريضة تتذوق شتى أنواع الظلم ، فهم بين مظلوم في ماله ، ومظلوم في دينه ، ومظلوم في حريته ، ومظلوم في حقوقه الأدبية والشخصية ، كل منهم جثم عليه من الظلم - نوع أو أكثر - ما يجعله دائم التفكير في ظالمه ، زاهداً في إنجاز أي شيء سوى الانتصاف لنفسه إن استطاع ، مشلول التفكير والإرادة إلا عن التقلب على جمر الغيظ وحب الانتقام .

ولأمر ما عنون ابن خلدون فصلاً مهماً من مقدمته بالقول : (الظلم مؤذن بخراب العمران) ولأمر ما اختار كلمة (مؤذن) حتى يجعلك لا تغتر إذا رأيت قصرأ منيفاً يتربع فيه ظالم بين الأضواء والرياش

، أو سلطة يتحكم بها متجبر عاتٍ يأمر فيطاع ، فها هو ذا الظلم ينعق في جنباتها ، مؤذناً بك بنيانها
من القواعد .

الهوامش :

١ - لا يتحرك ولا ينتقل .

تمت بعون الله ، والحمد لله
